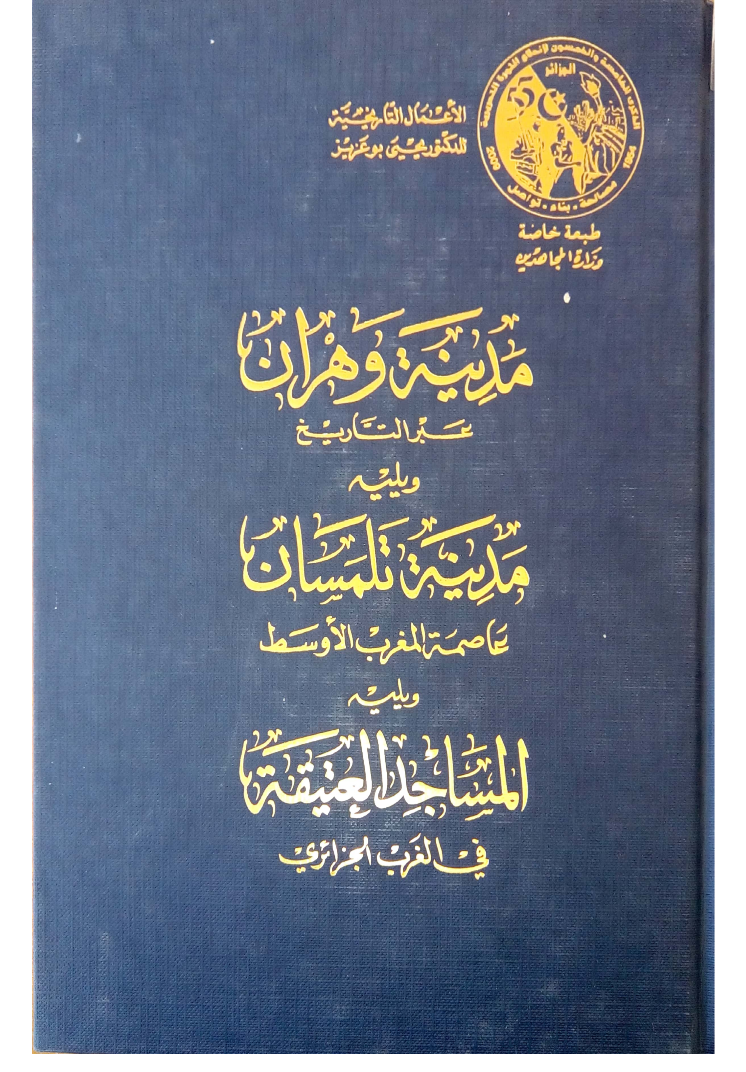
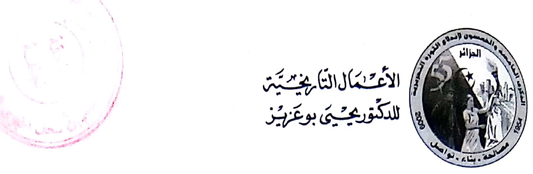


الأعمال التاريخية
للدكتور يحيى بوعزيز
طبعة خاصة
وزارة المجاهدين
مدينة وهران
عبر التاريخ
ويليه
مدينة تلمسان
عاصمة المغرب الأوسط
ويليه
المساجد العتيقة
في الغرب الجزائري



مدينة وهران
عبر التاريخ

ويليه

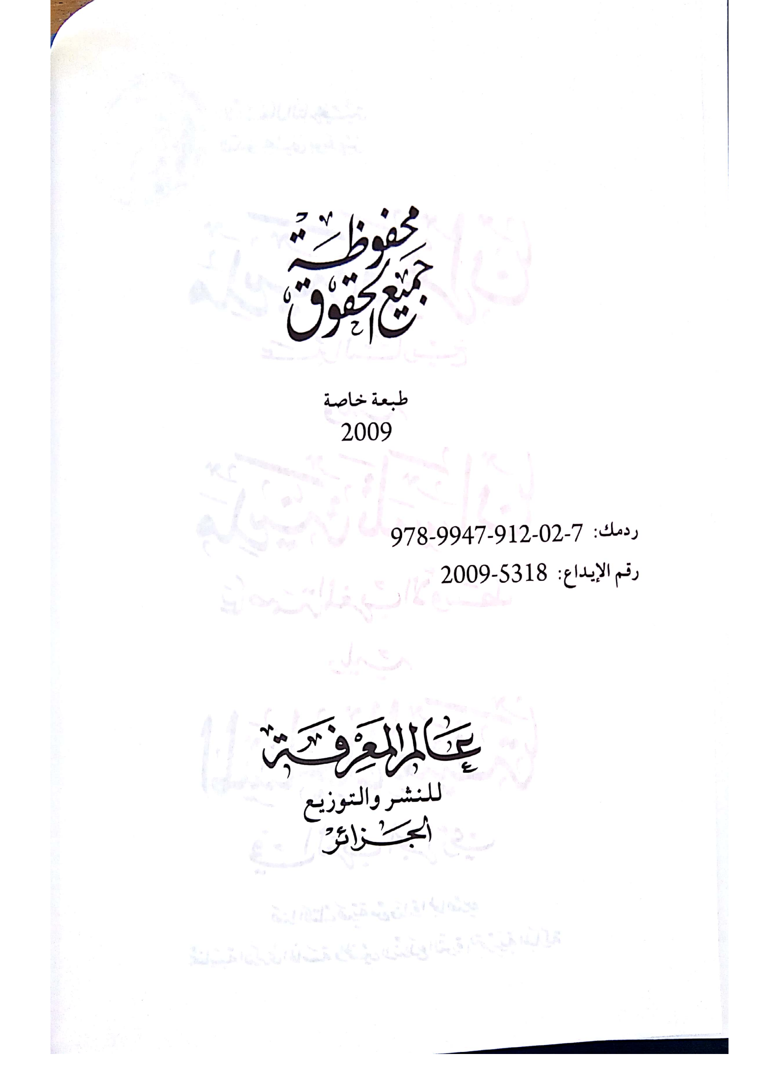
مدينة تلمسان
عاصمة المغرب الأوسط

ويليه

المساجد العتيقة
في الغرب الجزائري

هذا الكتاب هدية من وزارة المجاهدين

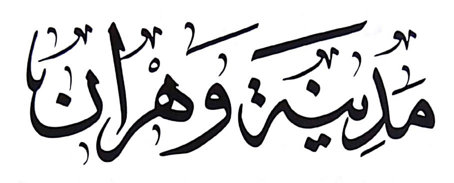
بمناسبة الذكرى الخامسة والخمسين لاندلاع الثورة التحريرية المباركة



طبعة خاصة
2009

ردمك: 978-9947-912-02-7
رقم الإيداع: 2009-5318

عالم المعرفة
للنشر والتوزيع
الجزائر



عبر التاريخ



مقدمة الطبعة الثانية

1

صدرت الطبعة الأولى لهذا الكتاب مبتورة عام 1985 من طرف وزارة الثقافة والسياحة. التي حذفت منه القسم الثالث والأخير الذي يخص تراجم عدد من علماء وهران الذين أنجبتهم أو جاؤوا إليها واستقروا بها، وعلى رأسهم: الشيخ الولي الورع محمد بن عمر الهواري المغراوي، وتلميذه النجيب الشيخ إبراهيم اللنتي التازي. كما حذفت الخرائط الموضحة لمنطقتها، وبعض معالمها الأثرية، والتاريخية.

وقد نفذ هذا الكتاب بسرعة ولم يوزع إلا على بعض دور الثقافة التابعة لوزارة الثقافة. ولم يتح للمثقفين، خاصة بوهران أن يطلعوا عليه وعلى تاريخ هذه المدينة وهران التي تعتبر العاصمة الثانية للجزائر. وبما أنه يتم هذا العام 2002 الإحتفال بذكرى بداية المائة الحادية عشرة لتأسيس المدينة، ولو أنه رأي خاطئ، فإننا كاتبنا والي الولاية واقترحنا عليه أن تتولى الولاية في إطار هذه الإحتفالات الإشراف على إعادة طبعه من جديد، فأحال رسالتنا على شيخ البلدية، وجاءنا منه استدعاء، وعندما ذهبنا للإلتقاء به تعرضنا لمضايقات مؤلمة من طرف منظم الإستقبال، فألغينا اللقاء، واتصلنا بالسيد ابن فريحة بن حمادي مدير دار الغرب للطباعة والنشر، وعرضنا عليه الفكرة فرحب، وأشرف على طبع الكتاب من جديد،

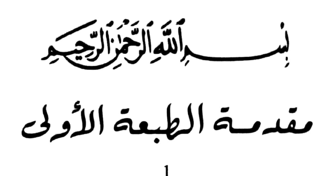
فحورنا عنوانه هكذا: "مدينة وهران عبر التاريخ" وأضفنا إليه ما حذفته وزارة الثقافة، وهو القسم الثالث الذي يحوي تاريخ علماء المدينة، والخرائط، والصور، وبذلك جاء مكتملا وجامعا لتاريخ هذه المدينة العريق، وشاملا لمراحلها المختلفة.

فإلى مدير دار الغرب كل الشكر والتقدير والسلام.

الأستاذ الدكتور يحيى بوعزيز

وهران - حي جمال الذين

الإثنين 28 ربيع الثاني 1423م 08 جويلية 2002م



مقدمة الطبعة الأولى

1

ما تزال عملية التاريخ للمدن الجزائرية، بطيئة ومتأخرة جدا رغم أهميتها وهي إحدى القضايا التاريخية المطروحة على الباحثين الجزائريين في إطار إعادة صياغة تاريخ الجزائر الوطني. ذلك أن هذه المدن تعرضت لعمليات الطمس، والمسخ، والتشويه، بكيفية فظيعة جدا.

لمعالمها الحضارية: العمرانية والفنية والتاريخية، والثقافية والدينية، وخاصة العربية الإسلامية منها.

وذلك من طرف الأسبان والفرنسيين الذين بذلوا كل جهودهم لإثبات أن هذه البلاد كانت أوروبية قبل أن تكون عربية إسلامية. وعملوا واجتهدوا:

أولا: أن يثبتوا أن كل مدن وقرى الجزائر الكبيرة من تأسيس الرومان، والبيزنطيين وكأن هذه البلاد قبل الاحتلال الروماني، كانت خالية من السكان والعمران، وليس بها أي أثر للحضارة وهي نظرة استعمارية بحتة لا تحتاج إلى أي دليل لدحضها.

ثانيا: أن يحيوا ويكشفوا الغطاء عن كل الآثار العمرانية التي ترجع إلى عهود الرومان والبيزنطيين ويدرسوها، لإثبات مزاعمهم وهو ما فعلوه في بطيوه، وشرشال وتيبازة، وجملية، وتديس ولا مبيس، وتيمقاد وتبسة وقالمة وعنابة، وغيرها، وغاب عن أنظارهم بأن هذه الآثار شيدت بسواعد أجدادنا، ومهاراتهم وبإمكانيات بلادهم الإقتصادية.

ثالثا: أن يهدموا، ويطمسوا، ويخربوا، كل أثر للحضارة العربية الإسلامية كالمساجد، والمدارس، والزوايا، والقصور والمكتبات، والكتاتيب القرآنية وغيرها، ليفقدوها طابعها الإسلامي الشرقي، ويقنعوا الأجيال بمزاعمهم وأقاويلهم.

وهذا ما فعلوه بمدن: تلمسان، وندرومة، ووهران، ومستغانم، وتنس، والجزائر، وبجاية، وقسنطينة، وعنابة وغيرها، من المدن التاريخية الكبرى والهامة.

ورغم أن عددا لا بأس به من الكتاب والباحثين الأوروبيين، قاموا بدراسات وأبحاث عن تاريخ بعض المدن الجزائرية ذات الماضي الحضاري المشرق، إلا أن دراساتهم هذه لم تكن كاملة، ويشوبها النقص، وتعوزها الدقة، والشمولية والتكامل. لأنها ركزت بصفة خاصة، إما على الفترة الرومانية القديمة، أو الفترة الأسبانية والفرنسية الحديثة، وإما على بعض المظاهر الأثرية العمرانية لبعض العهود الإسلامية الخاصة.

- فجورج وويليام مارسي: (Georges et William Marçais) مثلا، إهتما بدراسة آثار مدينة تلمسان الإسلامية، خاصة في عهود المرابطين والموحدين والزيانيين، وجاءت دراستهما في هذا الميدان جميلة جدا، وهامة، ولكنهما لم يعمقا في تاريخ المدينة عبر مراحلها التاريخية المختلفة.

- وأرنيست ميرسي: (Ernest Mercier) أرح لمدينة قسنطينة عبر العصور، ولكنه ركز على العهد الروماني، والعهد الفرنسي بعد ذلك. ولم يعط للعهود الأخرى حقها.

- ول. باستيد (L. Bastide) أرخ لمدينة بلعباس، وكاد أن يعتبرها مدينة فرنسية في نشأتها وتطورها. لولا أن أغلبية سكانها من الفلاحين الجزائريين، وطابعها عربي صرف.

- وروني ليسبيس (René Lespesse) إهتم بدراسة تاريخ وهران في عهد السيطرة الإستعمارية الفرنسية، ولكنه مر مرور الكرام على العهود الإسلامية، وما قبلها وعلى العهد الأسباني الأوروبي كذلك.

- والمقدم ديديي: (.Didier M) أغرق أحداث وتاريخ مدينة وهران الإسلامية في التاريخ العام لكل بلدان الشمال الإفريقي والأندلس. واتبع أسلوب السرد حسن السنوات وجمع المعلومات من هنا وهناك، وحشدها بكيفية عديمة التنظيم، والترتيب والتصنيف، وركز بصفة خاصة على العهدين: الأسباني والفرنسي.

- وا. دوريان: (I. Derien) ركز على العهد الفرنسي بصفة خاصة.

- ووروني باسي: (René Basset) ركز على جمع ووضع بيبليوغرافيا عن المصادر العربية التي تتحدث عن مدينة وهران في العهود الإسلامية طبعا. وذلك جميل لا محالة.

- وجان كازناف: (Jean Cazenave): وضع دراسة موجزة عن تاريخ مدينة وهران في مختلف عصورها.

ولكن أهم عمل قام به هو جمعه لكل المصادر والوثائق التي تتحدث عنها، من غابر العصور حتى عهده.

المطبوعة منها والمحفوظة في الأرشيفات، ودور المحفوظات المختلفة خاصة في فرنسا، وأسبانيا، ووضع بيبليوغرافية مهمة جدا عن مصادرها، نشرها في عدد خاص من مجلة جمعية الجغرافية والآثار لمدينة وهران.

وقد عانت مدينة وهران أكثر من كل المدن الجزائرية الأخرى من عمليات الهدم والطمس والتخريب، لكل مرافقها ومعالمها الحضارية: العمرانية، والفنية، والدينية، والثقافية، والاقتصادية. من طرف الأسبان أولا وأساسا، ثم الفرنسيين بعد ذلك.

فخلال السيطرة الأسبانية التي دامت حوالي ثلاثة قرون، قام الأسبان بتدمير مساجدها، ومدارسها، وأخلوها من سكانها الأصليين. وحولوها إلى مركز ومحتشد لقواتهم العسكرية، الاستعمارية، للمساجين والمنفيين الأسبان أصحاب السوابق الاجرامية في أسبانية. وبنو بها الكنائس والقلاع والحصون لدعم وجودهم الاستعماري والاستيطاني بها.

وعندما حررها الجزائريون عام 1792، حاولوا أن يعيدوا لها أمجادها، ووجهها العربي المسلم.

وبذلوا جهودا كبيرة لتعميرها، وإصلاح ما تخرب منها.

وأنجزوا أشياء هامة في ظرف وجيز جدا لم يتعد ثمانية وثلاثين عاما.

ثم عاد إليها الاستعمار الفرنسي الأوروبي مرة أخرى، وعاد إلى عملية الطمس، والتهديم والتخريب لما شيده الأجداد فيها، من المعالم الحضارية والإسلامية، ودامت العملية قرنا واحدا وواحد وثلاثين عاما كاملة. فتضاعفت عمليات التخريب فيها، وعاشت كارثة حضارية نادرة الوجود ما عدا ما يقوم به اليهود الصهاينة اليوم في مدن القدس، وفلسطين العربية، وما قام به الإنجليز، والأسباني في القارة الأمريكية، والقارة الأسترالية، وبعض البلدان الافريقية، وجزر وأرخبيلات المحيط الهادي.

ومن المشاكل التي تعترض الباحث في تاريخ مدينة وهران، وتحتاج إلى تعمق في بحثها ودراستها، وما تزال نقطا غامضة، ولربما فجوات وثغرات:

أولا: التاريخ الحقيقي لتأسيسها. فأغلب المؤرخين المسلمين اعتبروا عام 290هـ (902م) هو تاريخ تأسيسها.

وتبعهم في ذلك الكتاب والباحثون الأوروبيون ما عدا البعض منهم. ونحن

نعتبر هذا خطأ، وغير صحيح وغير دقيق. لأن نواة المدينة قديمة جدا، وقرية إيفري البربرية تعود إلى العهود البربرية القديمة قبل ظهور الإسلام بكثير.

وهذا التاريخ الذي اعتمدوه يمثل في رأينا المرحلة الثانية من عمر هذه المدينة وتطورها بعد أن هاجر إليها عدد من المسلمين الأندلسيين، واستغلوا ميناء المرسى الكبير في توسيع تجارتهم البحرية.

فاستقر بهذه المدينة عدد لا بأس به من هؤلاء المهاجرين، وانضم إليهم بمرور الزمن عدد من سكان المناطق المجاورة لها. فتوسع عمرانها وارتفعت كثافة سكانها، واكتسبت بفضل موقعها، أهمية استراتيجية بحرية واقتصادية. وثقافية، وعسكرية. إن تاريخ تأسيس هذه المدينة ما يزال بحاجة إلى بحث ودراسة، واستقراء لكل مصادر التاريخ المكتوبة. وغير المكتوبة. من أجل الوصول إلى رأي صحيح ومعقول، ومقبول.

ثانيا: اسمها الذي تحمله، من أين أخذته، هل من اسم قبيلة، أو مكان أو حيوان أو غيره: هناك أقوال كثيرة أغلبها، في رأينا، من صنع الخيال. ولا يستند إلى أدلة تاريخية ثابتة، ولا إلى آراء منطقية معقولة ومقبولة.

وتحتاج إلى بحث ودراسة، واستقراء للمصادر كذلك، سواء منها العربية أو الفينيقية، والرومانية والبيزنطية. وبصورة خاصة تلك التي تتحدث وتؤرخ للفترة البربرية قبل الإسلام. وتتحدث عن القبائل، والقرى العمرانية، وما يتصل بها من أحداث ومشاكل. ومع أننا نرجح أن يكون اسمها مأخوذا من اسم بعض القبائل ولكن ذلك مجرد افتراض وتخمين طالما لم يدعم بأدلة تاريخية ثابتة تعوزنا حاليا، كما أعوزت غيرنا.

ثالثا: بعض مراحلها التاريخية في العصرين: الوسيط، والحديث، ما تزال غامضة، خاصة العهد الأسباني وجوانب من العهد التركي العثماني بعد ذلك. والسبب في ذلك عزلتها عن المجتمع العربي الإسلامي طوال حوالي ثلاثة قرون إبان السيطرة الأسبانية، وقصر المدة التي بقيت فيها تحت السيطرة الإسلامية الجزائرية بعد ذلك، وعودة الاحتلال الأوروبي إليها بسرعة عام 1831م. ومن المؤكد أن هذه المراحل غنية بالمصادر والوثائق. ويمكن بعد دراستها أن يخرج الباحثون بدراسات قيمة عن تاريخ هذه المدينة وأحداثها السياسية. والعسكرية،

والإقتصادية وغيرها. وتزخر الأرشيفات الأسبانية، والفرنسية، بكثير من الوثائق، والمخطوطات والخرائط عنها، وعن أنشطتها البحرية. وكمثل على ذلك أرشيف غرفة تجارة مرسيليا، وأرشيف سيمانكاس (Simancas) بأسبانيا. ولكن ذلك يتطلب وقتا ونفسا طويلين.

ورغم كل ما أصاب مدينة وهران من الطمس الحضاري لأمجادها. فما زالت تحتفظ بآثار، عمرانية هامة لا بد من التنبيه إلى ما تتعرض لها حاليا من الإهمال، والتلف، والتخريب، الذي يهددها بالاندثار تماما إذا ما استمر الوضع كذلك:

أولا: فالقصر الأحمر أو برج الأمحال الذي أسس في النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي، وتعود نواته في بعض الروايات، إلى عهد الفينيقيين. ويتعرض حاليا لعملية اتلاف وتخريب فظيعين، رغم كونه كان تحفة فنية معمارية هامة. حافظ عليه حتى المستعمرون الأسبان والفرنسيون، ولم يدخلوا عليه إلا تعديلات طفيفة. فقد كسرت أبوابه، ونوافذه واقتلعت زخارفه، والبلاط الجميل الذي كان يزين أسقفه وبعض جدرانه، وتهشم الكثير من أسقف بيوته وحجراته. وتحولت ساحاته الجميلة إلى أماكن للقاذورات، وبقايا النفايات، يعيث المخربون والمجرمون فيها فسادا. وليس من الغريب أن يسقط هذا البرج تماما إذا ما استمر الوضع هكذا، خاصة القسم التركي منه.

وتقوم وزارة السياحة حاليا بإنشاء فندق سياحي في ساحته الكبيرة، سوف يكون أحد الأسباب في القضاء على قيمته التاريخية والحضارية.

إن قصرا وبرجا كهذا عاصر أهم أحداث هذه المدينة ومرت عليه رجالات وشخصيات فرضت نفسها على التاريخ، وطال الزمن حوالي سبعة قرون، جدير بأن يحول إلى مركب ثقافي كبير ينعش الحياة الفكرية للمدينة، ويبعث تاريخ أمجادها، ومن الإجرام تركه هكذا لأيدي العابثين، والمخربين، وعوامل الزمن المخربة. والمهدمة كذلك. ومثل هذا يقال عن برج الجبل، وبرج حسن، وبرج لامون، وغيرها، التي تخلى عنها الجيش الوطني الشعبي.

ثانيا: حي القصبة، وبرجها القديم، أقدم أحياء مدينة وهران على الإطلاق بعد قرية إيفري يتعرض هو الآخر لعملية تدهور وتخريب، وتهديم خطيرة، ومستمرة، وهو الآن من أقذر أحياء المدينة بعد أن كان من أرقاها وأعظمها وأجملها. وليس من الغريب إذا إستمر الوضع هكذا عدة سنوات أخرى أن يزول

هذا الحي ويندثر خاصة وأن المصالح البلدية تباشر بنفسها عملية تهديم أجزاء منه بدعوى التجديد العمراني. فالمياه القذرة تجري من أزقته، وأكوام المزابل والنفايات مبعثرة على أرصفته الضيقة والسكان مكتظون فيه بشكل لا نظير له بسبب أزمة السكن الحادة. حتى في الزنزانات الضيقة، وغير المشمسة تماما. ومعظم أجزاء القصر مخربة ومهدمة، والناس يعبثون فيه، ويقومون بإحداث تغييرات إستلزمتها ظروفهم السيئة، من أجل التقليل من بؤسهم وشقائهم. ولا يدرون ولا يشعرون بأنهم يدمرون جزءا هاما من التاريخ لهذه المدينة، وأمجادها، وحضارتها.

إننا نعتقد أنه إذا كانت في الماضي أولويات حالت دون رعاية هذه الآثار والمآثر الحضارية والعمرانية، لهذه المدينة. فقد حان الوقت الآن للإهتمام بها، ورعايتها، وترميمها، وصيانتها، وتحويلها إلى مرافق حضارية كما كانت في الماضي أو أحسن من ذلك. ويمكن أن نقترح ما يلي لحل ذلك وعلاجه:

أولا: ترميم القصر الأحمر، (برج الأمحال)، وتحويله بكل مبانيه وساحاته إلى مركب ثقافي كبير، يشمل متحفا ومكتبة كبيرة، وقاعة للعرض، وأخرى للمحاضرات والندوات، والمناقشات، وحديقة كبيرة، وناديا لبعض أنواع التسلية الثقافية، وإذا أمكن دارا لحفظ الوثائق. والعدول عن مشروع الفندق السياحي الذي لا يشرف هذا المرفق، لأن كسبه السياحي سيكون بالأساليب، والوسائل الرخيصة البعيدة كل البعد عن أصالتنا. وتقاليدنا.

ورغم أن تحويل هذا القصر إلى مرفق ثقافي، سيتطلب وقتا طويلا وأموالا ضخمة، إلا أن ذلك لا يهم لأنه سيشرف هذه المدينة والمسؤولين الذين سيشرفون على ذلك الإنجاز.

ثانيا: ترميم حي القصبة، وقلعته، وتنظيفهما، وإزالة كل الأكواخ، وأكوام المزابل، والقاذورات، والمياه العفنة، والإعتناء بجمالها، وتركيز بعض الصناعات التقليدية به، وتنظيم طرقاته وأزقاته، حتى يستعيد وجهه الجميل، ويتحول إلى حي تاريخي، وتقليدي يقبل السياح على زيارته، والتمتع بما يجدونه فيه من مناظر طبيعية وعمرانية جميلة، ومن أدوات وأمتعة تقليدية لطيفة وظريفة كذلك. والكف عن تهديم مبانيه العمرانية بتلك الكيفية العشوائية غير المدروسة. والتي إن استمرت سوف يختفي هذا الحي تماما. وسيكون ذلك كارثة على هذه المدينة وتاريخها امجادها الحضارية:

ثالثا: الإهتمام بترميم بقايا السور الذي كان يحيط بمدينة وهران، والأبواب الباقية مثل باب المرسى، شمال غرب القصبة، وباب كاناستيل شمال شرق القصبة، وباب الجيارة على الضفة الشرقية لوادي الرحى (أورأس العين) بجوار برج الصبايحية (القديس أندري)، وباب السوق جنوب قصر الأمحال أو البرج الأحمر.

والإهتمام بباقي الأبراج والحصون الأخرى، والتعريف بها ووضع لافتات ترشد الناس إليها، وتساعد السياح على زيارتها كجزء المرافق الحضارية لهذه المدينة.

رابعا: الإهتمام بالمساجد التاريخية القديمة، وترميمها، وحمايتها وتوسيعها والعناية بها أكثر بإعتبارها تراثا ثقافيا أصيلا. وإعادة الإعتبار إليها، وتشجيع التعليم والثقافة الإسلامية بها خاصة تعليم القرآن، ودروس الوعظ والإرشاد المسائية. لتشارك، كما كانت في السابق، في رفع الوعي الديني والإجتماعي والقضاء على الأمية.

خامسا: إقامة متحف بحري كبير في قلعة برج المرسى الكبير، للبحرية الإسلامية الجزائرية، تجمع فيه وتحشد المعلومات والآثار، والتحف، البحرية كالأسلحة، والمراكب، والخرائط، والحبال، والصواري، ومختلف الأدوات الأخرى، ووضع أرشيف لرجال البحرية الجزائرية في مختلف عصور التاريخ، وتكليف بعض الباحثين بالقيام بدراسات أكاديمية عن دور هذه البحرية ورجالها في تاريخ هذه البلاد، وفي أحداث البحر المتوسط كله. وهو موضوع جيد وممتع للبحث والدراسة والتسجيل.

سادسا: طبع دليل خاص للتعريف بكل هذه المآثر التاريخية لمدينة وهران والمرسى الكبير، ليكون دليلا للزوار والسياح، ومرشدا لكل الناس. ويستحسن أن يطبع هذا الدليل باللغة العربية، واللغات الحية الأخرى كالفرنسية والإنجليزية والأسبانية والألمانية، والصينية.

وهذه الدراسة التي نقدمها اليوم للقراء عن مدينة وهران عبر التاريخ، هي عبارة عن محاولة متواضعة لكشف الغطاء عن بعض الجوانب المجهولة والغامضة من تاريخ هذه المدينة وتسليط الضوء على بعض معالمها الحضارية الباقية، وتنبيه المسؤولين وإثارة اهتمامهم، ليقبلوا على صيانتها وترميمها، وانقاذها، وحمايتها من الضياع والتردي الذي تواجهه وتعاني منه.

وقد قسمناها إلى ثلاثة أقسام:

- القسم الأول: عن تاريخها منذ نشأتها إلى حملة الاحتلال الفرنسي عام 1830.

- القسم الثاني: عن آثارها العمرانية، القصور، والأبراج، والحصون، والأسوار، والأبواب، والمساجد، والرباطات، والأنفاق الأرضية والمقابر.

- القسم الثالث: عن بعض شخصياتها العلمية التي أنجبتها أو وفدت إليها وعاشت بها. وارتبطت بتاريخها وحضارتها.

وقد توقفنا في الدراسة عند حملة الاحتلال الفرنسية عام 1830، لأن العهد الفرنسي يتطلب وحده دراسة خاصة مستقلة نظرا إلى التطورات الكبيرة التي عرفتها هذه المدينة خلالها في مختلف المجالات. وزودنا هذه الدراسة بأربعة خرائط:

واحد عن مدينة وهران عام 1831.

والثانية عنها وعن المرسى الكبير عام 1757.

والثالثة عن المنطقة الوهرانية الواسعة التي شهدت أحداث الصراع والاحتلال الأسباني مثل مستغانم، وأرزيو، ومزغران، ووهران، ومسرقين، والمرسى الكبير، والأندلس.

والرابعة عن الأنفاق الأرضية التي كانت تربط بين القلع والحصون والأبراج المحيطة بالمدينة خلال السيطرة الأسبانية عليها.

كما زودناها بعدد من الصور لجوانب ومناطق متفرقة لأبراج: المرسى الكبير، والبرج الأحمر، وبرج الجبل، وبرج لامون، وبرج حسن بن زهوة. والقصبة

عددها 26 ولا يفوتنا في الأخير أن نشكر كل الذين قدموا لنا المساعدة لانجازها خاصة: السيد أحمد نقاز مدير مكتبة جمعية الجغرافية والآثار لمدينة وهران، والسيد عبد المجيد أمير مدير القسم الفني والثقافي بالإذاعة الجهوية لمدينة وهران. وكاتبه السيد قاسمي الهاشمي الضارب على الآلة الكاتبة. والسيد بن صافا رمضان الذي زودنا بملف الصور المرفقة بهذا الكاتب وهو مصور بجريدة الجمهورية. فباسم الله، وعلى بركته، نقدم هذه الدراسة المتواضعة آملين أن تجد صداها لدى كل من يقرؤها، وتحفزهم إلى القيام بدراسات أخرى أكثر عمقا وشمولا.

والله الموفق

الأستاذ الدكتور يحيى بوعزيز

وهران – 1985م

القسم الأول

وهران عبر التاريخ

تمهيد

ولاية وهران

الموقع:

تقع ولاية وهران في غرب البلاد الجزائرية، وتنحصر بين خطي طول (صفر أو خط الزوال، و2 إلى غربه، وخطي عرض 35 و36 شمال خط الاستواء).

وكانت في مطلع العصر الحديث كبيرة المساحة، وتحمل: بايليك الغرب طوال عهد الحكم التركي العثماني للجزائر، وتمتد من شرق مدينة الشلف (الأصنام سابقا) شرقا، إلى الحدود المغربية غربا، وإلى أقاصي الصحراء جنوبا، وفي العهد الفرنسي إلى حدود ولاية الساورة.

وبعد اعادة التقسيم الإداري عام 1958 خلال الثورة المسلحة، وعام 1975 بعد اعادة الإستقلال الوطني، تقلصت مساحتها كثيرا، وفصلت عنها مناطق واسعة تتمثل في الولايات التالية: تلمسان، وسعيدة، ومعسكر، وسيدي بلعباس، ومستغانم، وتيارت، وأصبحت حاليا تتألف من ثلاثة دوائر صغيرة هي:

دائرة وهران في الوسط.

دائرة أرزيو في الشرق.

دائرة المرسى الكبير في الغرب.

وتطل شمالا على البحر المتوسط بساحل طويل ومتعرج يمتد من مصب وادي المقطع شرقا إلى ما وراء مركب الأندلس غربا. وتشرف على خليجين هامين هما: خليج أرزيو شرقا، وخليج وهران والمرسى الكبير غربا.

السطح والتربة:

ويتسم سطحها بالإنبساط في الوسط والجنوب والشرق، وبالإرتفاع في الغرب والشمال. وتنحدر الرّبوات الشمالية بحدة إلى ساحل البحر، وبصورة تدريجية نحو الجنوب. ويشتد إرتفاعها في الغرب خاصة في جبل مرجاجو، أو

المايدة أو جبل سيدي هيدور، ومرتفعات بوصفر.

وتتمثل هذه المرتفعات في ربوات كريشتل، وأرزيو، وكاناستيل، شمالا، وفي جبل مرجاجو (المايدة)، وهضاب: بوصفر والأندلس، في الغرب. وهضاب: مسيلة، ومسرقين، وبوتليليس، جنوبا.

أما السهول فأهمها: سهل المقطع، وأرزيو، ووادي تليلات، ووهران، والسانية، والكرمة، ومسرقين، وبوتليليس، التي تمتد إلى أحواز العامرية جنوبا. وتتصف هذه السهول بكثرة المستنقعات المالحة التي تنصب بها بعض الأودية والمجاري الداخلية. ويستغل بعضها في استخراج الأملاح مثل سبخة أرزيو، وسبخة وهران الكبيرة، والسبخة الصغيرة التي تجاور مدينة وهران وتخلق لها مشاكل في ميدان تلوث الهواء، وهناك مشروع كبير وطويل المدى لتجفيفها.

وتربة هذه السهول غير منفذة، وهو الأمر الذي جعلها تكثر بها الأحواض والبحيرات، والمستنقعات المالحة، أما تربة المناطق الجبلية فجيرية غرانيتية.

وأهم وديان الولاية: وادي الرحى (جمع رحا)، الذي يدعى حاليا وادي رأس العين ويشق مدينة وهران. وأودية: الهبرة، والمقطع، وتليلات ومسرقين، وبوصفر، وعيون الترك، وبوتليليس.

المناخ والنباتات:

تقع ولاية وهران، وكل الغرب الوهراني، في ظل المطر، ولذلك تقل فيه الأمطار نسبيا، وتعتمد الفلاحة على ميله الآبار بصفة عامة. ولكن قربها من الساحل جعلها تتلقى أكثر نسبة من الأمطار على عكس المناطق الداخلية.

والغطاء النباتي فيها خفيف تبعا لقلة نسبة الأمطار، فتنمو على الربوات والمرتفعات، أشجار البحر المتوسط الدائمة الخضرة، والمتنوعة، كالصنوبر، والبلوط، والعرعار، والزيتون، والسرو، وفي السهول تنمو وتزدهر غراسة الأشجار المثمرة كاللوز، والكروم، والحوامض، والإيجاص، والتين، والزيتون، والمشمش، والخوخ والرمان، وغيرها.

وتزرع الخضروات والحبوب بمختلف أنواعها وأشكالها وهناك مساحات كثيرة من أراضي الولاية حول وهران، بور، وأحراش لا تستغل إلا في الرعي، وذلك بسبب نمو النباتات الشوكية فيها، كالعليق، والصبار وغيرها. وذلك في شكل

أجمات وأدغال.

وتربي في المرتفعات، قطعان الماعز، والأغنام، وفي السهول الأبقار والخيول، والأحمرة وغيرها.

ويجري التوسع في تربية الأبقار الحلوبة للاستفادة من ألبانها، وأصوافها، ولحومها، وجلودها. كما يجري التوسع في تربية طيور الدّواجن كذلك للاستفادة من لحومها، وبيضها، وريشها.

المراكز العمرانية:

هناك بولاية وهران، حاليا عدة قرى ومراكز عمرانية كبيرة وصغيرة منها: مدينة وهران، والمرسى الكبير، وعيون الترك، وبوصفر، ومسرقين، وبوتليليس والسانية، والكرمة، وبير الجير، وكاناستيل، وكريشتال، وقديل، وحاسي عامر وحاسي المفسوخ، وتليلات، وأرزيو، وبطيوة، والحجاجس وأهمها جميعا مدينة وهران ثاني مدن الجزائر على الإطلاق.

نواة مدينة وهران وسكانها القدماء:

تقع مدينة وهران على السفح الشرقي لجبل المايدة (مرجاجو) الجميل الذي يحمل كذلك اسم (جبل سيدي هيدور)، فوق شاطئ خليجي بحري هادئ عرضه 21 كلم، في ملتقى خط عرض 35 و45، وخط طول 58=2 غرب الصفر أو خط الزوال.

وكانت نواة هذه المدينة على ما قيل، "قرية إفري" الصغيرة على الضفة اليسرى لوادي الرّحى (جمع رحا) الذي يعرف حاليا باسم "رأس العين".

وينتمي سكانها القدماء إلى عدد من فروع قبيلتي: مغراوة ونفزاوة، البربريتين. ويقال إن مرساها البحري كان يدعى بالمرسى الإلهي. ويعود تأسيسها إلى ما قبل عهد الفينيقيين، وكثيرا ما كان يطلق عليها إسم: "المرسى الصغير" تمييزا لها عن "المرسى الكبير" الحالي.

وقد اختلف في تسميتها هكذا: "وهران" على أقوال كثيرة كلها من صنع الخيال تقريبا على ما يبدو، أطرفها: أن بني يفرن عندما أرادوا غزوها لم يستطيعوا التعرف على مكانها، وعثروا على رجل من أهلها وسألوه عنها فرفض أن يرشدهم إليها وشددوا عليه فصوب عصاه نحوها وقالوا له: هي صوب عصاك هذه قال لهم: واه. ثم سمعوا شخصا آخر يقول: رآنا. فقصدوه وعثروا على المدينة وسلبوا أهلها، وسبوهم، وقالوا: هذه غنيمة واه رانا ثم بمرور الزمن حذفت من الكلمتين الألف الأولى بعد الواو، والألف الأخيرة بعد النون، وتألفت منهما كلمة واحدة هي: "وهران"[1].

وللدكتور جورج سيقي رأي آخر نقله بتحفظ عن ليون في: Leon Fey، وهو اسم وهران ربما أخذ من اسم أحد الأمراء الفاطميين الذي كان يدعى بوشارام وارهام وهران Bou - Charam Ouaham Wehran.

1) أورد هذه الروايات، وهي سبعة، محمد بن يوسف الزياني في كتابه: - دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران. تقديم وتعليق المهدي البوعيد للى. (الجزائر - 1978) ص: 31 - 33.

أو من اسم المجرى المائي الذي ينحدر من الجبل، ويفصل بين قمة جبل المايدة، وقمة الجبل الذي أقيم عليه حصن مرجاجو سانتو كروز: Santa - Crus والذي كان يحمل اسم واران: Ouaran.

وذلك اعتمادا على رواية الدكتور شاو الإنجليزي الذي زار المدينة على عهد بوشلاغم.. كما ذكر سيقي بأن وهران كانت تسمى بالمرسى الصغير تمييزا لها عن المرسى الكبير.[1]

وقد رجعنا إلى كتاب الدكتور شاو. ولو نعثر على هذه الرواية فيما يخص التسمية.

وهران عبر التاريخ:

وقد استمرت هذه القرية الصغيرة في النمو والتطور، ببطئ، وشهدت في نهاية القرن الثالث الهجري (290 هـ، ومطلع القرن العاشر الميلادي 902م) تطورا واسعا، وهائلا، وكبيرا، في عمرانها، ونشاطاتها الإقتصادية، والإجتماعية والثقافية، بعد أن وصل إليها واستقر بها، عدد كبير من مهاجري الأندلس، وحملوا معهم إليها خبراتهم المعمارية، ومهارتهم الفنية والصناعية، وأنشطتهم التجارية، ولعب القائد خزر دورا معتبرا في تعميرها، وتوسيعها، حتى اعتبره البعض من مؤسسيها الأوائل.. ونسبها إليه الشاعر التلمساني المشهور ابن خميس عندما زارها في القرن الربع الهجري، (العاشر الميلادي)، وقال: أعجبني بالمغرب مدينتان بثغرين: وهران خزر، وجزائر بلكين. وكذلك محمد بن عون، ومحمد بن أبي عبدون..

وهران تحت سلطة الخزريين المغراويين:

وفي عام 909 هـ (297 هـ) زحفت على وهران عدة قبائل، وطالبت من سكانها أن يسلموا لها بني مسقن (أهل مسرقين) الذين فروا إليها، لتقتص منهم بسبب مشاكل، ودماء سالت بين الطرفين، فرفضوا. وقامت هذه القبائل بفرض الحصار على المدينة وقطعت عنها المياه وضيقت على السكان، ففر بنو مسقن ليلا واستجاروا بقبيلة وزداجة. وفر سكان وهران كذلك تاركين أموالهم بعد أن تأزم الموقف. وقام المحاصرون بإضرام النيران في المدينة وأحرقوها، وخربوها في شهر ذي الحجة من نفس العام 297 هـ.

(1) Dr George Seguy: Oran et l'Algérie 1887. (Oran, Mars 1888) , pp. 22 - 28.

وفي العام الموالي 910م (شعبان 298) عاد إليها أهلها، وأعادوا بناءها بأمر ومساعدة أبي حامد داوس بن صولات، عامل تيهرت الذي عين عليها محمد بن أبي عون واليا وحاكما. ثم ظهرت سلطة بني خزر المغراويين عليها. وكان أول حكامهم عليها: خزر بن حفص بن صولات بن ونزمار بن صقلاب بن مغراو، وذلك كعامل للأمويين بالأندلس خلال أحداث ميسرة، والمطغرين من الخوارج. ففرض سيطرته عليها، وعلى معظم المغرب الأوسط (الجزائر). وقد اهتم بن صولات بأمر وهران. فأحاطها بسور، ووضع نواه لقضيتها، وشيد عددا من الأبنية، وذلك بتشجيع من عروبا عامل عبيد الله المهدي الشيعي على تيهرت الرستمية. وقد تحدث عن هذا أبو عبيد البكري، وابن خلدون ونقل عنهما كل من ليون في، وديدي، وغيرهما.

وبعد حزر تولى ابنه محمد حكم وهران، وسكن بها، ومد نفوذه حتى إلى جهات تونس شرقا، وسجلماسة والمغرب الأقصى غربا، وقضى على كثير من العصاة، وهابه الناس بسبب صرامته، وحارب عجيسة، ووزداجة، والشيعيين. غير أنه تعرض في الأخير لهزيمة من طرف العجيسيين والوزداجيين الذين انتزعوا منه وهران على 918م (306هـ)، وحكموها حوالي سبع سنوات إلى أن إنتزعها منهم محمد بن خزر مرة أخرى واستعادها بعد حروب طويلة ومريرة عام 925م (313هـ).

وعين عليها ابن الخير وأخضع لسطته خصومه العجيسيين، والوزداجيين. فأدارهم بحزم، وشن عدة حروب على ضواحيها، وحارب الشيعيين في تيهرت، وغزا المسيلة، والزاب، وبسكرة وتونس. وربط صلاته بموسى بن أبي العافية المكناسي وشاركه في نشر دعوة الأمويين، وغزا تلمسان، وبعض جهات المغرب الأقصى حتى إلى بلاد السوس الأدنى.

ثم اختلف مع ابن أبي العافية وكانت الحرب تنشب بينهما لولا أن الخليفة الأموي بالأندلس تدارك الأمر وتدخل بسرعة وأرسل قاضي قرطبة منذر بن سعيد الولهاصي البلوطي الذي أصلح بينهما وأزال الخلافات التي نشبت وحقن الدماء، وصان الوحدة. وقيل أن اسمه اطلق على وادي الرحى فأصبح يعرف بوادي بن الخير.

وقد بقيت وهران بيده عدة سنوات أخرى إلى أن انتزعها منه داوس بن صولات الكتامي عامل عبيد الله الشيعي عام 930م (318هـ)، وعين عليها مرة أخرى محمد بن أبي عون الشيعي الذي أطاع الشيعيين الذين زحفوا على المغرب الأقصى لمحاربة ابن أبي العافية عام 935م (323 هـ). غير أن يعلي اليفرني عامل

الأمويين إنتزعها منه، وأحرقها عام 955م (344 هـ) وشرد أهلها العجيسيين والوزداجيين الذين هاجروا إلى الأندلس، وتجندوا في قوات المنصور بن أبي عامر ورحل البعض إلى مدينة أفكان.

ثم ظهر له أن يعيد تجديد بناء وهران وتعميرها، نظرا لأهمية موقعها، وانتقل إليها بأهله وجنوده من مدينة إفكان التي كان قد بناها قبل ذبك في بني راشد. واتخذها مقرا له، وعين عليها محمد بن الخير الخزري المغراوي، واليا عليها، فتصدى لمقاومة سلطة الأمويين، وعمل على نشر دعوة الشيعيين لغاية عام 970م (360هـ)، ثم انقلب عليهم وانحاز إلى الأمويين الذين أمدوه بقوات كبيرة وحثوه على محاربة بلكين بن زيري، فواجهه في عدة معارك، ولم ينجح، فانتحر، فخلفه ابناه: الخير، ويعلي، اللذان حاربا الصنهاجيين الشيعيين وانتصروا عليهم، وثأرا لأبيهما المنتحر. وأرسلا رأس الزيري إلى قرطبة عام 971 (361 هـ)، وتولى الخير حكم وهران، وباقي المغرب الأوسط حتى توفى فخلفه أخوه يعلي على حكم وهران.

ومن بعده تولاها ابن أخيه محمد بن الخير، وذلك خلال عقد السبعينات من القرن العاشر الميلادي (الستينات من القرن الرابع الهجري).

وبعد محمد بن الخير حكم وهران محمد بن يعلي بن الخير وهاجمه الصنهاجيون عام 987م (377 هـ)، وانتزعوها منه كما انتزعوا تلمسان وباقي مناطق غرب المغرب الأوسط. واستمرت الإضطرابات بها، وبغيرها حتى عام 1001م (391 هـ) ثم استعاد يعلي بن محمد وهران مرة أخرى في هذه السنة وضبط أحوالها وبقـي على حكمها هي والمغرب الأوسط حتى عام 1019م (410 هـ)، ثم تولاها ابن أخيه محمد بن الخير مرة ثانية وبقي عليها فترة من الزمن وتلاه ابنه محمد الصغير[1].

وهران تحت حكم الفاطميين والأمويين:

عاشت وهران في عهد الفاطميين اضطرابات سياسية كثيرة بسبب الصراع الذي كان قائما بينهم وبين الأمويين في الأندلس. ففي عام 376 هـ (987م) حكمها زيري بن مناد الصنهاجي لصالح الفاطميين، وتلاه في العام الموالي أبو البهار بن

(1) دليل حيران. ص 74 – 77.

زيري بن مناد، وأعلن انضمامه للأمويين بالأندلس، ثم تركها للفاطميين.

وفي عام 381 هـ (992 م) تولى حكمها وإدارتها خلوف بن أبي بكر، حاكم تيارت، وأعلن تبعيته للأمويين بالأندلس، واستمر على حكمه لها حتى عام 387 هـ (998م)، ثم تلاه خزرون بن محمد الوزداجي، وبقي تابعا للأمويين كذلك بالأندلس، على أثر ثورة زيري بن عطية الصنهاجي.

وفي مطلع القرنين الخامس الهجري، والحادي عشر الميلادي، اتخذت وهران قاعدة بحرية للأساطيل البحرية الإسلامية، ومركزا تجاريا لمعظم تجار الحوض الغربي للمتوسط المسلمين منهم والمسحيين الأوروبيين.

وعادت سيطرة الوزداجيين عليها عام 406 هـ (1016 م). وزارها الرحالة ابن حوقل، وأشاد بعمرانها الواسع والجميل، وتحصيناتها، ومبانيها العامة، وأسوارها المحيطة بها. وبازدهار الثقافة والتجارة فيها. وذكر أن صلاتها متينة ومكثفة مع سكان المواني الأندلسية [1].

وهران تحت الحكم المرابطين:

وقد بقيت وهران تحت حكم وسلطة الخزريين المغراويين، الذين كانوا أحيانا يخضعون للفاطميين وأحيانا للأمويين، حتى انتزعها منهم المرابطون عام 473 هـ (1081 م)، واتخذوها قاعدة بحرية هامة لجزء من أسطولهم البحري الحربي والتجاري، ونظرا لأهمية مينائها ومرساها من الناحيتين: الطبيعية والاستراتيجية.

ففي هذا العام غزاها وسيطر عليها يوسف بن تاشفين، ومحمد بن تينعمر المسوفي. وشهدت على أثر ذلك تطورات واسعة في مجالات متعددة. فتوسع عمرانها. ونشطت تجارتها البحرية، وتضاعف عدد السفن التجارية التي ترد إليها من مختلف أنحاء بلدان البحر المتوسط الشمالية الأوروبية، والغربية الأندلسية. وازدهرت الحركة الثقافية فيها كذلك، وبرز عدد من العلماء والفقهاء، والأدباء، أمثال: أبي محمد بن عبد الله بن يونس بن طلحة بن عمرون الوهراني، الذي اشتهر بتضلعه في علوم الطب، والرياضيات والتصوف، وانتقل إلى اشبيلية حوالي عام

(1) Didier: Histoire d'Oran. Tome IV. (Oran 1931). P. 45

427هـ (1037م) ليمارس مهنة التدريس ولربما التجارة، وأخذ التصوف على الشيخ ابن زيد، وعاش وعمر ثمانين عاما. وأمثال ركن الدين ابن محرز الوهراني، الأديب اللامع الذي هاجر في أخريات حياته، إلى مصر، والشام، وتوفي في داريا بأحوار دمشق عام 575هـ (1179م).

وقد زار الرحالة البكري وهران في هذه الفترة وتحدث عن عمرانها الواسع، ومياهها المتدفقة، وتحصيناتها القوية، ورحاواتها المائية، وحدائقها الجميلة، ومساجدها الجامعة. كما تحدث عن مؤسسيها الأولين: محمد بن أبي عون، ومحمد بن عبدون الأندلسيين. وذكر أن بها عنصرا من السكان عماليق يستطيع الواحد منهم أن يحمل ستة أشخاص مرة واحدة، ويستطيع أن يبني منزلا في يوم واحد كذلك. وهو يشير بذلك إلى سكان قرية إيفري المجاورة لها من الجنوب حيث حي رأس العين الحالي على الضفة اليسرى لوادي الرحى وتحدث عنهم محمد بن ميمون، والمازاري، وأبو رأس، وغيرهم[1].

وهران تحت حكم الموحدين:

بقيت وهران تحت حكم المرابطين حتى قامت الدولة الموحدية واكتسحت كل المغرب الأقصى، وأخذت بعد ذلك تتجه لاكتساح المغرب الأوسط (الجزائر) خاصة بعد أن فر إليه بقايا المرابطين، وعلى رأسهم السلطان تاشفين بن علي. وكانت وهران إحدى المدن والمواني التي اتجهت أنظارهم للسيطرة عليها بعد أن انسحب إليها سلطان المرابطين السالف الذكر.

ففي عام 539 هـ (1145 م) هاجم عبد المؤمن الموحدي مدينة وهران التي يعتصم بها تاشفين بن علي. ولاحقه إلى رباط كدية صلب الكلب الذي التجأ إليه خلال شهر رمضان هو وزوجته عزيزة، للاحتماء بالذين يرابطون فيه. وعندما حاول أن يفر ليلا سقط به فرسه فمات هو وزوجته، وعثر عليهما في الصباح الموالي، فحز رأسه وأرسله عبد المؤمن إلى تينملل بالمغرب الأقصى.

وكان تاشفين بن علي قد استخلف ابنه إبراهيم على مراكش، وأرسل إلى قائد أسطوله محمد بن ميمون بالأندلس ليبعث له مراكب بحرية إلى وهران، فأرسل

(1) El - Bekri: Description de l'Afrique. T. ar. p 70. tr. Fr. P. 165.

له عشرة مراكب بقيادة القائد لب بن ميمون اتجه بها إلى المرسى الكبير. وذلك حتى يتمكن بها من مواجهة أعدائه، وفي حالة الفشل ينسحب عليها إلى الأندلس، ولكن هذا الأسطول لم يفده شيئا. لأن الحوادث عاجلته، ومات قبل أن يتمكن من الالتحاق بالمرسى الكبير.

وتيمنا بهذا الانتصار، أطلق عبد المؤمن بن علي، على كدية صلب الكلب اسم: كدية صلب الفتح. ويسميها البعض: "كدية قفزة الفرس". وتقع في سفح جبل المايدة (مرجاجو) الشمالي المواجه للبحر حيث يوجد برج حسن بن زهوة الحالي الذي سماه الأسبان: برج القديس قريقوار. ويقع بين لامون على ساحل البحر، وبرج الجبل (سانتا كروز) في قمة جبل المايدة، على الطريق الذي يؤدي من وهران إلى المرسى الكبير. وما يزال قائما حتى اليوم[1].

وقد ذكر ديدي بان البعض يرى أن هذا الرباط يقع أسفل برج الأمحال على الضفة الشرقية لواد الرحى، وليس بسفح جبل المايدة. وهو يشك في ذلك، ويميل إلى الرأي الأول الذي ذكرناه، والذي أجمع عليه من أرخوا لهذه الفترة ونحن نميل معه إلى هذا الرأى، وزرنا هذا البرج، ومكان هذا الرباط به عام 1980م[2]. وتحدده خريطة أسبانيا عام 1757 في مكان قريب جدا من قرية المرسى الكبير الحالية.

وبعد موت تاشفين بن علي، وفشل حاكم المرابطين على وهران، بولوقين المتوكل الموهر، في المقاومة، قطع عبد المؤمن الماء على المدينة وشدد الحصار عليها، ثم أقتحمها، وأباحها لقواته وجنوده، فأحدثوا في سكناها مجزرة دموية رهيبة، تدخل في إطار تصفية المعارضين له والمؤيدين للمرابطين[3].

ونظرا لأهمية هذه المدينة وميناءها من حيث الموقع والإستراتيجية فقد حولها هي وميناء المرسى الكبير غربها، إلى قاعدتين بحريتين لأسطوله البحري وأحدث بهما ورشتين لإصلاح السفن المعطوبة، وبناء المراكب الجديدة.

---

(1) محمد عبد الله عنان: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس، ط1، ج1، (القاهرة - 1380هـ - 1964 م) ص: 249 - 252.

(2) ديدي، نفس المصدر، ص: 103 - 105.

(3) انظر ابن خلدون: كتاب العبر ط يولاق، ج6، ص 189 و281 وص: 77 وابن أبي زرع روضة القرطاس، ص 107 - 122.

وفعل نفس الشيء بمواني: أرزو، وهنين، والمعمورة، وطنجة، وتونس. وقد بني خبراؤه البحريون عام 1162م (558 - 559هـ) بأمر منه، مائة مركب في ميناني وهران، والمرسى الكبير، وأرزو ومائة وعشرين مركبا في المعمورة. وستين مركبا في طنجة. ومائة مركب أخرى في مواني الريف المغربي الأخرى وثمانين مركبا في بعض مواني الأندلس. وذلك في إطار استعداداته للعبور إلى الأندلس لمواجهة النصارى الأسبان في العام الموالي. ولكن المنية عاجلته وفاجأته، فتحمل المهمة من بعده أبو يوسف يعقوب المنصور[1].

وقد تحدث الشريف الإدريسي عن وهران خلال هذه الفترة (548 - 1154م) وأشاد باتساع عمرانها، ومهارة سكانها في الصناعات التقليدية كنسيج الصوف والأواني الطينية، والأدوات الحديدية، وذكر أن مياهها غزيرة ومزروعاتها خصبة ومتنوعة، وميناءها البحري هادئ المياه حصين.

وأسست بها عدة مدارس للتعليم، ونشطت الحركة الثقافية وتوسعت وظهر بها عدد من العلماء أمثال: أبي محمد عبد الله بن الجبل الذي كان أحد أعضاء مجلس أعيانها. وأبي عبد الله بن مروان، وأبي عبد الله الهمداني الوهراني الذي تولى خطة القضاء بها وبتلمسان ثم بمراكش التي توفي بها عام 1205.

وعلى غرار الحركة الثقافية، نشطت التجارة بوهران نشاطا كبيرا وواسعا، بفضل صلاتها الواسعة والمكثفة مع تجار معظم مواني البحر المتوسط الشمالية الأوروبية والشرقية الإسلامية، والغربية الأندلسية. وكان ذلك من ضمن العوامل التي حفزت الكثيرين من التجار المسيحيين الأوروبيين على الإستقرار بوهران واتخاذ مراكز وفنادق ووكالات تجارية لهم، تحت حماية حكامها المسلمين[2].

وفي عام 1186م أبرم السلطان الموحدي يعقوب المنصور إتفاقا مع إمارة بيزا الإيطالية نص على فتح مواني وهران، وبجاية، وتونس، وتسبة، لتجارتها وبضائعها التجارية. فأسست بوهران وباقي المدن المذكورة مكاتب لها لتنظيم العمليات الجمركية. وفعلت مثلها كل من مدن: برشلونة، ومرسيليا، والبندقية،

---

(1) ديدي، نفس المصدر، ص: 115 - 117.

(2) ديدي، نفس المصدر، ص: 103 - 107. 115 - 116.

وجنوة وريمس. واستفادت من الاتفاق.

وأخذ التجار الأوروبيون يتوافدون على وهران بكثرة لتصريف بضائعهم الأوروبية، وشراء بضائع الصحراء التي تكثر بها عن طريق قوافل التجارة الصحراوية. واتخذوا من وهران محطة وعقدة مواصلات لهم، في ذهابهم وإيابهم بين أوروبا، والبلاد الأندلسية.

تجهز هذه القوافل الأوروبية في مدينة ليدو الإيطالية، وتغادرها إلى مدينة طرابلس ومن هناك تأخذ طريقها إلى وهران عبر موانئ تونس، وبجاية والجزائر، وشرشال وتنس، ومستغانم. وعندما تصل إلى وهران تمكث بها عدة أسابيع للراحة، والتبادل التجاري، ثم تواصل سيرها إلى مدينة الميرية الساحلية بالبلاد الاندلسية آخر محطة لها في الذهاب. وفي العودة تمر على وهران وتبقى فيها عدة أسابيع أخرى لتجهيز نفسها ببضائع قوافل الصحراء، التي تتمثل في الحبوب، والجلود، والأصواف، والزيتون، والتمور وتبر الذهب، وسبائكه والفضة، والعاج، وريش النعام، ونسيج الصوف.

وذكر ليونفي، بأن البيزيين يقبلون على شراء الجلود، والجنويين يطلبون نسيج الصوف. والبنادقة يشترون المعادن الخام كالحديد والنحاس. أما سكان وهران فيقبلون على شراء أواني الزجاج والأقمشة الحريرية والكتانية، والأدوات الحديدية، والمنزلية، وبعض أنواع العطور والروائح.

وبعد أن تجهز هذه القوافل الأوروبية نفسها بهذه البضائع، تغادر وهران إلى بلدانها الأوروبية، أحيانا بصفة مباشرة، وأحيانا أخرى عبر مستغانم وتنس، وشرشال، والجزائر، وبجاية، وجيجل، وعنابة، وتونس، وحلق الوادي، والحمامات، وسوسة، والمهدية، وجربة، وقرقنة، وطرابلس ومالطة، وصقلية[1].

وهران بين الزيانيين والحفصيين والمرينيين:

بقيت مدينة وهران تحت الحكم الموحدي حتى قامت الدولة الزيانية بتلمسان عام 1236 بزعامة الشاب الطموح يغمراسن، ففرضت سيطرتها عليها وعلى المرسى الكبير، وكل المدن وقرى حوض الشلف، وإقليم التيطري، ومتيجة،

(1) نفس المصدر، ص: 310 – 316.

ومدت نفوذها حتى إلى مدينة دلس شرق مدينة الجزائر.

وعين لحكم وهران ولاة من بني راشد بينهم ابن خالاس الذي حكمها عام 641 هـ (1242م). وأبقاه عليها أبو زكريا يحيى الحفصي لما احتلها واحتل تلمسان معا. خلال صراعه مع يغمراسن، وضم إليه مدينة سبتة عام 646 هـ (1248) وبقيت تحت سيطرة الحفصيين عدة سنوات حتى قام يغمرانس بتحرير تلمسان عام 668 هـ (1269 م) فحرر معها وهران، وعادت إلى السيطرة الزيانية.

وعندما حصر السلطان المريني أبو يوسف يعقوب تلمسان ذلك الحصار الطويل عام 699هـ (1300 م)، وجه أخاه يحيى إلى وهران ليحتلها، فهاجمها وأقتحمها واحتلها كما احتل مزغران، ومستغانم، وتنس، إلى شرقها، وتواصلت سيطرة المرينيين عليها بصورة متقطعة خلال عهود: أبي الحسن، وأبي عنان، وأبي سالم، وعبد العزيز، ولم تتأثر كثيرا بهذه التقلبات السياسية، فازدهرت فيها الثقافة، والتجارة، والحرف التقليدية، والفلاحة.

وتوسع عمرانها، وارتفعت كثافة سكانها، وزارها في هذه الفترة الشاعر القسنطيني ابن الفقون، وتحدث عن عمرانها، ونشاط سكانها الإقتصادي والمهني، كما تحدث عن ازدهار الحياة الثقافية والفكرية والثقافية، ونبوغ العلماء والأدباء بها، أمثال أبي تمام الوهراني الذي هاجر منها إلى بجاية واستقر بها لتدريس العلوم الشرعية والأدبية.

كما زارها أبو سعيد الغرناطي، وتحدث عن ازدهار فلاحتها، ومتوجاتها الزراعية والحيوانية، وكثافة تجارتها الداخلية، والخارجية واتساع عمرانها، وكثرة علمائها.

وكذلك زارها الجغرافي الديمشقي أبو الفداء، وأعجب بحيوية سكانها، وتنوع نشاطاتها الإقتصادية، ومهاراتها المهنية.

وقد حكمها في عهد السلطان المريني ابي الحسن، محمد البطيوي الذي فتحها، وافتكها من الزيانيين عام 736 هـ (1335). ولما ظهر الثائر ابراهيم بن عبد المالك الكوفي بجبال طرارة عام 745 هـ (1344م)، شمال تلمسان، وأخذ يعمل على نشر الدعوة للموحدين، على ندرومة وهنين، وحاصر وهران، وتغلب على حاكمها عبو بن سعيد بن أجانا، وهزم القوات التي جاءت لنجدته وسيطر على وهران.

وعندما جهز السلطان أبو الحسن المريني حملته الكبرى على بلاد أفريقيا (تونس) عام 748 هـ (1347 م)، مر على مدينة وهران واقتحمها في شهر صفر من نفس العام (1 ماي 1347) وفرض سيطرته عليها. ومنها انطلق اسطوله البحري بقيادة البطيوي لمهاجمة الحفصيين في بجاية وإفتكاك المدينة منهم.

وقبل أن يتجه هوبرا إلى تونس، أمر ببناء برج الأمحال (البرج الأحمر) وبرج المرسى الكبير، ليتخذا مركزين دفاعيين لحماية المدينة والمنطقة من الغارات الأوروبية، ومحطتين لقوافل التجارة التي تفد إلى هذه المدينة ذهابا وإيابا إلى الشرق والغرب، وبين الموانئ الأوروبية، والإسلامية. و بعد عودته من تونس جمع أسطوله وأخذ يستعد للزحف على تلمسان [1]، ولكن ثورة ابنه حالت دون ذلك.

وفي هذه الفترة، وبالضبط عام 751هـ (1350 - 1351 م) ولد عالم وهران المشهور محمد بن عمر الهواري المغراوي بكلميتو شرق مستغانم، وارتبط اسمه وتاريخه بها فيما بعد. وأصبح جزءا من تراثها الحضاري حتى اليوم وأفردنا له دراسة في فصل التراجم الآتي ذكره.

وهران تحت حكم الزيانيين:

بعد إخفاق أبي الحسن المريني في حملته الأفريقية، وثورة ابنه أبي عنان ضده اغتنم الفرصة أبو ثابت الزياني، وزحف على وهران، واقتحمها، وافتكها من العمال المرينيين عام 750هـ (1349 م) وبقيت تحت سيطرته إلى أن قام أبو عنان المريني بغزو تلمسان عام 753هـ (1352) والسيطرة عليها فغزا وهران كذلك واحتلها وعين أحمد بن علي بن أجانا حاكما عليها وخضعت للسلطة المرينية عدة سنوات أخرى حتى مطلع الستينات من القرن الثامن الهجري.

وعندما ظهر أبو حمو موسى الثاني وأحيا الدولة الزيانية من جديد، وطرد المرينيين من تلمسان، ودخل في صراع شديد ضد السلطان أبي سالم، أرسل وزيره الحاج بن علي بن برغوث، ليفتح وهران، ويفتكها منهم، وزحف عليها يوم 28 ربيع الأول عام 760 هـ (27 فيفري 1359م) ولكنه هزم ووقع أسيرا في يد حاكمها المريني عامر بن إبراهيم بن ماسي. فأرسله بحرا إلى المغرب الأقصى وسجن بمراكش.

---

(1) ديدي، نفس المصدر، ص: 316 - 322.

وعندئذ خرج أبو حمو موسى الثاني بنفسه إليها، واقتحمها يوم 13 شوال 763 هـ (7 ديسمبر 1361م) واسترجعها، وهدم أسوارها حتى لا يتمكن المرينيون من الإعتصام بها مرة أخرى. واغتنم هذه الفرصة ومد سيطرته إلى الجهات الشرقية وسيطر على مزغران، ومستغانم، وقرى الشلف والمدية، والجزائر. وبعد خمس سنوات من هذا التاريخ اعتقل أبو حمو موسى زعيم بني راشد الذي عصاه، وسجنه بمدينة وهران عام 768 هـ (1366 م) فدخل بعض حراس السجن، وتمكن من الفرار وسعى له بعض أصدقائه لدى أبي حمو موسى حتى عفا عنه وأعاده إلى مركزه كزعيم لقومه بني راشد.

ومن الذين تولوا منصب القضاء بمدينة وهران في هذه الفترة القاضي سعيد بن محمد العقباني صاحب الشهرة الواسعة في ميدان الفكر والثقافة والتشريع الإسلامي.

ومن ضمن حكام وهران كذلك، القائد عبوس بن سعيد الذي أشرنا إليه سابقا. وتصارع مع الثائر الموحدي إبراهيم بن عبد المالك الكوفي.

وهران وقضية مقتل يحي بن خلدون:

كان لأبي حمو موسى الثاني سلطان تلمسان ثلاثة أولاد أكبرهم أبو تاشفين الذي عينه وليا لعهده في شهر شعبان عام 776 هـ (1375 م) وفوض له أمور الحرب والسياسة.

وكان طموحا فوق اللزوم، وأخذ يتدخل في سياسة أبيه ويشاغبه وهو يتغاضى عنه، ويسايره، ومن ضمن إخوته أبو زيان الذي حاول منذ عام 1367م أن يعين حاكما على وهران وإقليمها نظرا لأهمية موقعها كقاعدة ومركز بحري هام لها صلات متينة بكل موانئ البحر المتوسط، في ميدان التجارة، هذا إلى جانب قربها من تلمسان عاصمة الإمارة.

لقد كان أبو حمو يعلم بهذه الرغبة لولديه معا، فسكت، وتغاضى عنهما معا، وبقي الأمر هكذا حتى عام 1377م ثم ظهرت المشكلة من جديد وتحولت إلى صراع حاد داخل العرش الزياني. فقد اتهم أبو حمو موسى، ابنه أبا زيان حاكم إقليم التيطري ومدينة المدية، القيام باتصالات مشبوهة مع بعض القبائل المناوئة له، ونقله إلى حكم مدينة وهران وولايتها عام 1378م، فغضب ابنه الآخر وولي عهده

أبو تاشفين، وأراد أن تكون له وهران وليس لأخيه. وصارح أباه بذلك، وجند حوله عرب سويد ليؤيدوه في مسعاه لدى أبيه.

فتحير أبو حمو، وساءه أن يرضي أحدهما ويغضب الآخر فتظاهر بقبول رغبة أبي تاشفين، ولي عهده، ولكنه طلب من كاتبه يحيى بن خلدون الذي كلفه بكتابة عقد التولية، بأن يتريث، ويتمهل، ويتماطل، حتى يهتدي هو إلى مخرج يرضي الجميع، وعبر عبد الرحمن ابن خلدون عن هذا بقوله: «وإنما اسعفه ظاهرا، وعقد إلى كاتبه يحيى بن خلدون بمماطلته في كتابتها حتى يرى المخلص من ذلك» [1].

وما كان أبو تاشفين هذا مستعجلا في كتابة عهد التولية له على وهران، فقد أكثر من الالحاح على يحيى بن خلدون، وهو يسوفه ولم يدر أن خصوما له يدبرون له مصيرا سيئا. فقد صور لأبي تاشفين تمالطه في كتابة عهد التولية، على انه خدمة لأخيه أبي زيان، وتأييد له عليه وقام بهذه السعايات والوشايات المدعو موسى يخلف كما ذكر عبد الرحمن خلدون.

فنالت هذه السعايات، وفعلت فعلها وتأثيرها في نفسية أبي تاشفين. وقرر أن يتخلص من يحيى بن خلدون انتقاما منه، واتفق مع صعاليك المدينة في إحدى ليالي رمضان من عام 780 هـ (1379م)، واعترضوا طريقه وهو عائد على دابته من صلاة التراويح، فطعنوه بخناجرهم وأسقطوه على الأرض، وقتلوه. ففقدت تلمسان مؤرخها وكاتبها الذي أحبها. وسجل صفحات مجيدة عنها في كتابه: «بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد». خلدته رغم أنف الذين قتلوه تلك القتلة الشنيعة.

وعندما علم أبو حمو بالخبر في صباح اليوم الموالي، واكتشف إشتراك إبنه في تلك الجريمة سكت عنها وتوقف عن البحث على الجناة، ورضخ لإرادة إبنه أبي تاشفين وعينه واليا على وهران، وعزل عنها ابنه الآخر أبا زيان، ولكن هذا الإبن العاق لم يقنع بهذا فتآمر على أبيه أبي حمو وعزله عن العرش عام 788 هـ (1386) بإيعاز من السلطان المريني أبي العباس أحمد بن سالم، بعد أن إعترض طريقه وهو متوجه إلى الجزائر، وأرسله إلى وهران حيث وضع في سجن ضيق ومعزول

(1) عبد الرحمان بن خلدون: كتاب العبر – الجزء السابع، (القاهرة، ط بولاق 1284 هـ) ص 139 – 140.

بالقصبة، وشرع بعد ذلك في التخلص من إخوته وأنصار أبيه، ثم عزم على إغتيال أبيه نفسه وأرسل له من وهران من يقوم بالمهمة، فاكتشف الأمر قبل تنفيذه، وفر من السجن وتدلى على السور وصاح في الناس بأمره فالتفوا حوله، وساعدوه على العودة إلى عرشه بتلمسان في غياب إبنه المتمرد عليه أبي تاشفين الذي كان يحاصر إخوته في بلاد حصين، والتيطري وتم ذلك عام 789 هـ (1387 م).

وعندما علم هذا الإبن العاق أبو تاشفين بالخبر عاد بسرعة إلى تلمسان وحاصر أباه في القصر فاعتصم بصومعة المسجد واستنزله وأمنه، وأخرجه من الصومعة فطلب منه أن يسمح له بالذهاب إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، فأذن له وأركبه باخرة قطلانية وأوصى ربانها من النصارى عليه حتى يوصلوه إلى الإسكندرية. وعندما وصل إلى بجاية داخل قائد المركب وأقنعه بالسماح له بالنزول، فسمح له، ونزل واتصل بأمير بجاية الحفصي فأكرمه وساعده على العودة إلى عرشه بتلمسان، فانتقل إلى مدينة الجزائر، وحشد حوله أعدادا كبيرة من الأنصار والأتباع وتقدم إلى تلمسان ودخلها في رجب عام 790 هـ (1388 م) بينما هرب ابنه تاشفين إلى فاس واستنجد بالسلطان المريني أبي العباس فأنجده وجهز له حشدا من الرجال قادهم نحو تلمسان، واصطدم بأبيه وخاض ضده معركة في ناحية الغيران بجبل بني ورنيد، وراء جبل بني راشد وسقط أبو حمو على فرسه ومات في غرة ذي الحجة 791 هـ (21 نوفمبر 1389) عن عمر 68 عاما. ولم يجن إبنه أبو تاشفين إلا الخزي والعار، فخدعه السلطان المريني واحتل تلمسان وفرض عليه جباية سنوية بقي يؤديها حتى توفي عام 795 هـ (1393 م)[1].

أوضاع وهران خلال القرنين 9 هـ و15م:

ورغم هذا الإضطراب السياسي الواسع والمكثف في الإمارة الزيانية فإن وهران لم تفقد أهميتها الإقتصادية والثقافية فازدهرت بها الحركة التجارية ازدهارا كبيرا وواسعا، وكثر ورود قوافل الصحراء عليها ببضائع الجنوب. كما كثر ورود التجار الأوروبيين ببضائع الشمال، فأصبحت موقعا هاما لمختلف البضائع التجارية، ومحطة لا غنى عنها لكل المشتغلين بالتجارة.

(1) ابن خلدون: نفس المصدر ص: 142 – 148، ديدبي: نفس المصدر، ص 322 – 327.

ونشطت الحركة الثقافية نشاطا ملحوظا، وأسست بها عدة مدارس للتعليم والتدريس وبرز عدة علماء أشهرهم الشيخ المتصوف محمد بن عمر الهواري، وتلميذه الشيخ ابراهيم بن محمد بن علي التازي، اللنتي.

وفي مطلع القرنين التاسع الهجري (806 - 808 هـ)، والخامس عشر الميلادي (1404 - 1405م) هاجم القشتاليون مدينة وهران، وقرية المرسى الكبير وأرزو بزعامة الكونت بيدرو نينو: Pedro Nino وأخفقوا في مسعاهم. كما هاجمها الأمير حاجي شقيق السلطان المريني، وفشل في احتلالها.

وبعد حوالي ربع قرن من هذا التاريخ قام بعض أتباع الشيخ أبي مدين شعين بن الحسين دفين تلمسان ببناء قبة سيدي عبد القادر في قمة جبل المايدة (مرجاجو) وذلك عام 828 هـ (1425م) وأصبحت مزارا منذ ذلك الوقت خاصة للعنصر النسوي الذي يفد عليها زرافات ووحدانا، أيام الجمع والأعياد. وتقام في ساحتها حفلات وأعراس، وتذبح رؤوس المواشي أحيانا، ويطعم الناس، تقربا، وطلبا للشفاء، أو أشياء أخرى، واستمرت هذه القبة على هذه الحال حتى تم تهديمها تماما بجرافات، وأزيلت تماما عان 1980م. بقرار من الولاية ما يزال يكتنفه الغموض.

ويقع في أسفل هذه القبة المزالة غار كبير كان رباطا للطلبة والعلماء الذين كانوا يقاومون الاحتلال الأسباني للمدينة. وهو اليوم ملجأ لبعض الفقراء والمساكن ولا ربما للمخمورين. ووضعت له باب، وسألت أحدهم في بعض الزيارات التي قمت بها إلى هناك بعد تخريب القبة وإزالتها وهو رجل عجوز، رث اللباس، متسخ البشرة، فقال بأنه فقير ولم يجد عملا ومسكنا بالمدينة، ولست أدري كيف يحصل على عيشه هناك لأن المكان بعيد كثيرا عن المدينة، وكان ذلك عام 1980.

وعندما فشل أبو يحيى الزياني عام 840 هـ (1473م) في ثورته ضد أخيه أبي العباس أحمد العاقل المتوكل، بتلمسان، هرب إلى وهران واعتصم بها واتخذها مركزا له ولأنصاره عدة سنوات.

وهاجر إليها في هذه الفترة مولاي محمد القشيري السلطان الخامس عشر لغرناطة واستقر بها بعد أن تلقى وعدا من صاحب تونس الحفصي، بتقديم المساعدة له لكي يجدد الكرة على خصومه بغرناطة، واتخذ المرسى الكبير قاعدة

لاستعداداته العسكرية.

وبعد ثلاث سنوات من هذا التاريخ توفي شيخ وهران، وعالمها الكبير، محمد بن عمر الهواري يوم السبت 02 ربيع الثاني عام 843 هـ (12 سبتمبر 1439م) عن عمر اثنين وتسعين عاما، فخلفه في مركزه الديني والثقافي تلميذه النجيب ابراهيم اللنتي التازي لمدة تقرب من ربع قرن آخر حتى توفي هو الآخر يوم 09 شعبان 866 هـ (01 ماي 1462م) ودفن بها ثم نقله تلاميذه إلى قلعة بني راشد بعد الاحتلال الأسباني للمدينة[1]. وذلك بصورة سرية، وقد عاشت وهران خلال هذه الفترة، تحت السيطرة الزيانية الهشة، إنتعاشا إقتصاديا ملحوظا، وتوسع عمرانها، وكثرت مدارسها وحماماتها، وفنادقها ووكالاتها التجارية، وإزدهرت الحركة التجارية بها مع تجار مدن: البندقية، وجنوة وراقوس، ومرسيليا، والميرية، وبرشالونة. ومع قوافل التجارة الصحراوية. وكثرت بها بضائع الصحراء. كما إزدهرت بها صناعة الصوف، والسيوف والخناجر، والأدوات الطينية والخشبية، وتحدث عنها الحسن الوزان، والشريف الإدريسي، وأشارا إلى هذا الإزدهار العمراني، والإقتصادي الذي تعيشه.

وفي عام 851 هـ (1447م) استعاد أحمد العاقل مدينة وهران من أخيه المتمرد عليه أبي يحيى الذي فر إلى تونس وتوفي بها عام 867 هـ (1462م) وبعد عدة سنوات من هذا التاريخ ثار محمد المتوكل على عم أبيه، أبي العباس أحمد العاقل، وفرض سيطرته على مدن: مليانة، والجزائر، والمدية، ووهران، ومنها زحف إلى تلمسان وسيطر عليها، وقبض على عمه أبي العباس عام 866 هـ (1461م) وأرغمه على الإعتكاف في مسجد العباد فترة من الزمن. ثم نفاه إلى غرناطة بالأندلس فحاول من هناك أن يعيد الكرة، وحضر إلى تلمسان على رأس حشد من أنصاره وحاصرها نصف شهر، وأخفق في محاولته وانسحب.

وبعد موت محمد المتوكل حلفه إبنه أبو ثابت محمد الخامس عام 866 هـ (1462م) وكان قبل ذلك يحكم مدن الجزائر، ومليانة، ووهران، ومستغانم، وتنس، وفي عهده زار الحسن الوزان الغرناطي الذي يعرف بليون الإفريقي، تلمسان،

(1) ديدي: نفس المصدر، ص 327 - 332.

ووهران. وتحدث عن هذه الأخيرة وذكر أن عدد منازلها ستة آلاف دار، وبها مدارس، وفنادق، وحمامات ومستشفيات، وسكانها يشتغلون بحرف نسيج الصوف، وباقي الصناعات التقليدية وهم متسامحون مع النصارى المسيحيين، ولهم صلات تجارية مع سكان قاطالونيا الأسبانية، وجنوة الإيطالية التي لها مكتب تجاري بها ينظم تجارتها، ويسوي عمليات الجمارك ومشاكلها ويعد للتجار ما يحتاجون إليه من سلع وبضائع.

وفي عام 895 هـ (1490 م) هاجر إلى وهران أبو عبد الله محمد بن سعد الزغل عم آخر سلاطين غرناطة بعد أن اختلف في سياسته، وهاجر معه إليها عدد كبير من سكان غرناطة، بعد أن يئسوا من انقاذ مدينتهم. ومن وهران انتقل إلى تلمسان ليقضي بها بقية حياته حتى توفي بعد أربع سنوات من ذلك التاريخ.

وقد اضطر السلطان الزياني محمد السابع أن يذهب بنفسه إلى أسبانيا ليطمئن فيردينند الخامس، ويؤكد له عدم قيام سلطان غرناطة بأية كرة على غرناطة، وحمل إليه هدية ثمينة تتمثل في بعض الخيول العربية الأصيلة، وأحجار اللؤلؤ الثمينة والقصور الذهبية.

وبعد سقوط غرناطة عام 1492م في أيدي النصارى الأسبان، هاجر إلى وهران عدد كبير من مسلمي الأندلس، واستقروا بها وتولى حكمها في مطلع القرنين: العاشر الهجري (909 هـ) والسادس عشر الميلادي (1503م) أبو حمو موسى الثالث الذي يلقب ببوقلمون، أمير تلمسان، وفي عهده بدأت هجمات الأسبان والبرتغاليين على وهران والمرسى الكبير بصفة مكثفة ومركزة وكبيرة، كما سيأتي[1].

الغارات البرتغالية والأسبانية على وهران والمرسى الكبير في القرن 15م:

وعندما بدأت الغارات البرتغالية على سواحل أقاليم المغرب العربي الطويلة، والعريضة، استهدفت وهران والمرسى الكبير لهذه الغارات، واحتل البرتغاليون وهران والمرسى الكبير مرتين:

الأولى: من يوم 14 أوت 1415 إلى عام 1437، في عهد الملك البرتغالي جان الأول. وعندما طردوا منها خضعت وهران لسلطان تونس، وتحولت إلى ملجأ

(1) عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام (الجزائر 1955). ج2. ص: 173 - 187.

وملاذ كبير للمهاجرين الأندلسيين الذين تمركزوا بها وسيطروا على إدارتها، واتخذوا ميناءها مركزا لأسطولهم ومراكبهم البحرية التي كانوا يشنون بها الغارات الانتقامية على الأسبان والبرتغاليين في البحر، وعلى الشواطئ الأندلسية. والتحق بهم سلطان غرناطة الخامس عشر القشيري الذي فر إليها واعتصم بها وتولى حكمها حتى توفي، ثم استعاد بنوزيان سيطرتهم عليها[1].

الثانية: من عام 1471 إلى 1477م، حيث هاجمها الملك البرتغالي الفونسو الخامس: Alphonso 5، واحتلها لمدة سبع سنوات، ثم أرغم على الجلاء عنها من طرف السكان.

وبعد عشرين سنة من هذا التاريخ هاجمها الأسبان عام 1497م، بقيادة الدوق دومدينا سيدونا: Sidona وفشلوا في احتلالها، وتحولوا إلى مدينة مليلية بالمغرب الأقصى واحتلوها وما يزالون بها حتى اليوم عام 2002م.

أهمية وهران الاقتصادية والاستراتيجية وأطماع الأسبان فيها:

ورغم هذه الهجومات المتكررة ضدها، وذلك الإضطراب السياسي الذي كان متواصلا داخلها وحولها في أصقاع بلدان المغرب المختلفة، فقد شهدت في ظل السيطرة الزيانية، والمرينية، والحفصية، ومهاجري الأندلس، نشاطا تجاريا وصناعيا واسعين لمواد: العجين، وجلود النعام، والأبقار، والأغنام وتبر الذهب، والعبيد، والحبوب، والخضر، وغزل النسيج، ودباغة الجلود، وصناعة السيوف والسكاكين، وغيرها. وكثر عليها تردد تجار مدن: بيزة، والبندقية، وجنوة ومرسيليا، والقطلانيون، ليشتروا ما تشتهر به من بضائع، ويبيعوا سلعهم التي يحملونها إليها مثل: الأقمشة، والأسلحة، وأدوات الخرز، والأدوات الحديدية والزجاجية والعطور وغيرها. وازدهرت بها صناعة نسيج الصوف، والبارود، والأواني، والدباغة. والجلود وغيرها. وزادت منازلها في هذه الفترة على ستة آلاف منزل، وتعددت

(1) ذكر ديديي بان ليون في، وحده، هو الذي اختص بهذه الرواية عن احتلال البرتغاليين لوهران في هذا التاريخ. اما غيره وخاصة الباحثون البرتغاليون فلم يشر أحد منهم إطلاقا إلى ذلك. ومن رأيه إلغاء هذه الرواية وحذفها من أحداث وهران تماما، وعدم الأخذ بها، انظر: ديديي. نفس المصدر، ص: 245 و262 - 264.

مساجدها، وفنادقها، ومدارسها، وحماماتها، ومبانيها العامة والمعتبرة[1]. وكانت إحدى المحطات التجارية الهامة التي تعد وتنطلق منها القوافل التجارية إلى أعماق الصحراء الكبرى بضائع الشمال، عبر سعيدة وخيثر، وعين الصفراء، وواحات توات، إلى مدينة تومبوكتو بمالي، لتعود إليها ببضائع الصحراء بعد ذلك[2].

الاحتلال الأسباني لوهران والمرسى الكبير:

وفي مطلع القرن السادس عشر الميلادي، اشتدت غارات الأسبان ضد وهران، والمرسى الكبير، في إطار الحروب الصليبية التي يشنونها على بلدان المغرب وشعوبها الإسلامية، بعد أن حققوا هدفهم في طرد بقايا المسلمين من البلاد الأندلسية.

ففي عام 1502م قاد دون خوان دومينيسوز: Don Juan de Menecez أسطولا بحريا تابعا للملك دون ميقيل: Don Miguel، واتجه به لنجدة البحار البندقي ليونار لوراندو Leonard Lerando، وهاجم ساحة الأندلس غرب المرسى الكبير وعيون الترك، وتمكن من إنزال جنوده إلى البر، ولكن السكان قاوموه، وطردوه وأسروا له 35 رجلا، اعتقلوهم في قلعة برج المرسى الكبير.

وفي أواخر شهر أوت 1505م قاد الماركيز قوماريس: Marquis Gomares حملة بحرية كبيرة من خمسة آلاف رجل، واتجه بها إلى قرية المرسى الكبير غرب مدينة وهران وفرض عليها الحصار خمسين يوما، ثم احتلها بعد أن أرغم سكانها على الجلاء عنها، وذلك يوم 23 أكتوبر، وحول مسجدها في الحال إلى كنيسة سموها كنيسة القديس ميقيل، وأقاموا بها أول قداس لهم. وحرروا 35 أسيرا الذين أسروا في الحملة على ساحل الأندلس قبل ثلاث سنوات.

وتم احتلال هذه القرية في عهد السلطان الزياني أبي حمو موسى الثالث الذي يلقب ببوقلمون. وحصن الأسبان مواقعهم في برج المرسى وقريتها.

---

(1) Louis Piesse: Itinéraire historique et descriptif de l'Algérie comprenant le Tell et le Sahara, (Paris 1862), pp. 198 - 199.

(2) يحيى بو عزيز: طرق القوافل والأسواق التجارية بالصحراء الكبرى كما وجدها الأوروبيون في القرن 19م. مجلة الثقافة. عدد 59. (الجزائر - سبتمبر - أكتوبر 1980 م)، ص: 13 - 30.

وبعد عامين من احتلال المرسى الكبير حاول الأسبان غزو قرية مسرقين وأحوازها التي تبعد بحوالي 12 كلم جنوب غرب وهران، فخرجوا إليها خلال شهر جوان 1507م، بمساعدة أدلاء خونة من قبيلة قيزة وبني عامر. وكان من أهدافهم فك الحصار على أنفسهم بوهران، واحتلال أراضي زراعية لاستغلالها حتى يوفروا لأنفسهم الحبوب والحيوانات لتموين قواتهم العسكرية بالمدينة المحاصرة.

ورغم أنهم حققوا في البداية انتصارا جزئيا، إلا أنهم تعرضوا لهزيمة ساحقة بعد أن أنقلب عليهم السكان والفلاحون الذين زالت عنهم، دهشة المفاجأة، وقتلوا منهم حوالي ثلاثة آلاف رجل، وأسر واعددا آخر، ولاحقوا الفارين إلى ما وراء أسوار المرسى الكبير[1].

وعلى إثر هذه الهزيمة الشنيعة، اعتصم الأسبان بالمرسى الكبير حوالي عامين كاملين ضمدوا خلالها جراحهم، وأكثروا من التدخل في شؤون إمارة تلمسان، وإمارة تنس التابعة لها، فناصروا يحيى الثابتي ضد عمه أحمد الثالث (بوقلمون)، واستعملوا كل الأساليب لإضعاف القوى السياسية في هذه البلاد، ليتمكنوا من تنفيذ مشاريعهم وسيطروا على أمراء إمارة تنس فترة من الزمن.

وفي عام 1509م أتم الكاردينال كزيمينيس: Ximenés استعداداته العسكرية وأبحر بنفسه في منتصف شهر ماي صحبة القائد بيدرو نافارو: Pedro Navaro على رأس خمسة عشر ألف رجل. ونزل بالمرسى الكبير، ومنها اتجه إلى مدينة وهران شرقها بحوالي سبعة كيلومترات. واستعان بسطورة المكاس اليهودي الاشبيلي الماكر، وبعض أعوانه من الخونة أمثال عيسى العربي، والقايد بن قانص، ففتحوا له أحد أبواب المدينة غدرا وخديعة، فاقتحمها هو وجنوده وهاجموا السكان بوحشية لا نظير لها وقتلوا أربعة آلاف رجل، وأسروا ضعفهم، وأسالوا الدماء أنهاراً حتى احمرت مياه البحر.[2]

وقام كزيمينيس بتحويل كل مساجد المدينة إلى كنائس ومنها مسجد

---

(1) أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة بين الجزائر وأسبانيا 1492 - 1792م (الجزائر. 1976) ط: 2. ص: 96 - 109.

(2) PIERRES IBID. pp. 200 - 201.

البيطار، وأنشأ معقل وحصونا وصوامع جديدة للدفاع ضد السكان الذين لربما سيهاجمون المحتلين المستعمرين الأسبان. ونهب كل ما وجده من تحف ونفائس. كالكتب والقناديل وغيرها، شحنها إلى أسبانيا وحرر بالمدينة 300 أسير مسيحيا. وكافأ اليهوديين سطوة، وبن زهوة، وابقاهما مكاسين على أسواق المدينة، وأوكل إليهما مهمة استخلاص الغرامات من السكان. واعترف أبو حمو الثالث بتبعيته للأسبان، وقبل بأن يدفع لهم جزية سنوية مبلغ 12 ألف أوقية ذهبية و12 فرنسا، و6 صقور(1).

وبعد احتلال وهران اهتم الأسبان بأمر مستغانم لأهميتها الاستراتيجية فضيقوا عليها وعلى قرية مزغران المجاورة لها غربا، وأرغموا شيوخها وزعماءها على إبرام معاهدة إذلال نصت على السماح للأسبان ببناء قلاع وتحصينات لهم بها. وقيام السكان بدفع ضريبة سنوية للأسبان، وتموين المحتلين الأسبان بوهران والمرسى الكبير بما يحتاجونه من المؤن والأغذية الضرورية، ومنع رسو السفن الأجنبية بمستغانم إلا بإذن من الأسبان بوهران، غير أن هذا الاتفاق لم يقدر له أن ينفذ لأن الأمور لم تسر كما يود وينتظر الأسبان(2).

تمركز الأتراك بالجزائر واهتمامهم بوهران والمرسى الكبير:

في عام 1516م تمركز الاخوة الثلاثة: عروج، وخير الدين، وإسحاق، بمدينة الجزائر، بعد أن استنجد بهم سكان تلك المدينة في جيجل، وطلبوا منهم العون والمساعدة ضد قلعة البينون الأسبانية أمام المدينة. وكان الأخوة الأتراك الثلاثة يدركون جيدا أطماع الأسبان في بلدان المغرب العربي الإسلامية، وشاركوا قبل ذلك في مقاومة غاراتهم وحروبهم بشرق البحر المتوسط، في إطار حروب الدولة العثمانية ضد دول ومماليك أوروبا وقراصنتها. كما شاركوا في عمليات إنقاذ مسلمي الأندلس المطرودين والمضطهدين. ولذلك كان أمر تحرير وهران والمرسى الكبير قضية أولى وأساسية في جهودهم وسياستهم بالشمال الإفريقي كما سيتضح فيما بعد.

(1) المدني. نفس المصدر. ص: 110 – 118. وكذلك بلوم نيلي:
Blum Nelly: La croisade de Ximénés en Afrique. (Oran, 1898) , p. 160.
(2) المدني. نفس المصدر، ص: 146 – 151.

فبعد أن استقروا بمدينة الجزائر، وقضوا على مؤامرة سالم التومي ورفاقه، اتجه عروج إلى مدينة تنس ليصفي الحساب مع أميرها الذي تآمر مع الأسبان وتعاون معهم. وذلك عام 1517م، وحقق ما أراد، ثم اتجه إلى تلمسان لنفس الغرض، وفي طريقه إليها ركز أخاه إسحاق بقرية سيدي راشد على رأس 500 جنديا ليحمي ظهره من غدر أسبان وهران والموتورين معهم ممن باعوا ذممهم وضمارئهم. وعندما وصل إلى تلمسان طرد منها السلطان الضليل أبا حمو الثالث بوقلمون، وأعاد إلى عرشها أخاه زيان السلطان الشرعي. ولكن أحمد الثالث الموتور استعان بأسبان وهران الذين كانوا ينتظرون ذلك بفارغ الصبر، فأمدوه بقوات كبيرة هاجم بها إسحاق شقيقه عروج بقلعة سيدي راشد، وقتله، ثم هاجم تلمسان وغدر بعروج وقتله خلال انسحابه إلى الناحية الغربية وذلك عام 1518(1).

ولم يكتف الأسبان بهذا فأخذوا يضيقون على إمارة تلمسان ويطوقونها سياسيا وعسكريا، بريا وبحريا، فاحتالوا ميناء هانين يوم 8 سبتمبر 1531م وهو البوابة البحرية الوحيدة لها بعد ضياع وهران، وأخذوا يتلاعبون بعرشها وأمرائها قرابة ربع قرن من الزمن إلى أن قطع عليهم صالح رايس خط الرجعة، وسيطر على تلمسان، وألغى الإمارة الزيانية، وألحقها بحكومة الجزائر العاصمة المركزية عام 1554م(2).

محاولات حسن بن خير الدين لتحرير وهران:

كان حسن بن خير الدين قد عين بايلرباي على الجزائر في عقد الأربعينيات من القرن 16، وحاول أن يحرر وهران وتلمسان من الاستعمار الأسباني، ولكن دسائس السفير الفرنسي حالت دون ذلك. فسحبته الدولة العثمانية وعوضته بصالح رايس عام 1552م الذي حرر تلمسان كما ذكرنا عام 1554، وحرر بجاية في العام الموالي 1555م وأخذ يستعد لتحرير وهران، وأعد جيشا ضخما بريا وبحريا في برج الكيفان، وبينما هو يستعد للإقلاع فاجأته الموت، وأخذته إلى ربه. فنفذ الحملة رفيقاه: القائد يحيى، وحسن قورصو، وقادا تلك القوات إلى وهران، وفرضا الحصار عليها وفتحا حصن رأس العين، وشرعا في التضييق على باقي الحصون،

(1) المدني. نفس المصدر، ص: 184 – 193.
(2) المدني. نفس المصدر، ص: 236 – 239.

ولكن البايلرباي الجديد بمدينة الجزائر أرسل إليهما بسرعة وبصفة استعجالية وطلب منهما رفع الحصار والعودة إلى مدينة الجزائر لمواجهة حملات القرصان الإيطالي أندري دوريا الجنوي، المدعم من طرف قوات ملوك وأمراء أوروبا، والبابا، وذلك في المياه الشرقية للبحر المتوسط، فامتثلا للأمر، وأخليا حصن رأس العين وقفلا راجعين وكلاهما أسف على ذلك [1].

وعندما عين حسن بن خير الدين للمرة الثانية بايلرباي على الجزائر عام 1557م اهتم بأمر تحرير وهران والمرسى الكبير مرة أخرى، وجهز قوات كبيرة برية وبحرية واتجه على رأسها إلى الناحية الغربية لمواجهة مؤامرات الأسبان والسعديين معا.

ولما سمع الحاكم وهران الأسباني الكونت الكوديت بالأمر، أعد هو الآخر قوات كبيرة برية وبحرية لاستغلال الحوادث. وكانت خطته وخطة السعديين معه، أن يتجه إلى مستغانم ليتعرض هناك لأسطول حسن بن خير الدين، بينما تزحف قوات برية مغربية من الغرب لأحكام نوع من الحصار على القوات التركية.

غير أن خطط حسن بن خير الدين ورفاقه كانت أكثر نجاعة، ففي يوم 23 أوت 1558م اعترض حسن بن خير الدين أسطول الأسبان في خليج أرزيو، واستولى عليه بما فيه من الرجال، والأموال، والأسلحة، والذخائر، وفي نفس الوقت خرج العلج علي من تلمسان على رأس قوات، برية لاعتراض القوات المغربية، ولمعاقبة عرب بني عامر المتعاونين مع الأسبان.

معركة مزغران المظفرة:

أما الأسبان فقد اتجهوا كما قلنا إلى مستغانم برا ولم يعلموا بمصير أسطولها الذين كانوا ينتظرون وصوله إلى مستغانم بحرا. ومروا على قرية مزغران، وأخذوا منها الأحجار ليصنعوا القذائف، وعندما وصلوا إلى مستغانم كان حسن بن خير الدين قد سبقهم إليها ونظم المقاومة والدفاع، فلم يستطيعوا أن يحصلوا على مبتغاهم ولم يجدوا أنصارا لهم كما كانوا يتوقعون وتعرضوا لكارثة، فانسحبوا فارين إلى قرية مزغران حيث كانت تنتظرهم هناك كارثة أشد.

(1) المدني. ص: 366 - 376.

فقد جرى وراءهم السكان ولاحقوهم إلى هناك وأطبقوا عليهم داخل القرية وأشبعوا فيهم قتلا، ورفسا، وأسروا، وقتلوا حاكم وهران الأسباني، الكونت الكوديت وأسروا ابنه دون مارتان، ثم أطلقوا سراحه وسلموا له جثة أبيه[1]. وكانت الكارثة عليهم مرة وثقيلة.

وبقيت الأمور هكذا حوالي ست سنوات إلى أن أعيد تعيين حسن بن خير الدين بايلرباي على الجزائر للمرة الثالثة عام 1563 م. فجدد الكرة على إسبان وهران، وأعد حملة ضخمة من 15 ألف رجل من الرماة، وألف من الفرسان، وألف رجل من جنود الأمير عبد العزيز سلطان قلعة بني عباس بالبيبان في بلاد القبائل الصغرى.

واتجه على رأسها إلى وهران ووصل إليها يوم 3 أبريل 1563 وتمركز أمام حصن رأس العين ونصب مدافعه أمام حصن الفرنسيس، وتمكن من احتلاله. وبذل محاولات أخرى لاحتلال باقي الحصون الأخرى حتى المرسى الكبير. ودام الحصار حتى يوم 7 جوان، وطلب من قواد الحصون والقلاع الأسبان أن يستسلموا فرفضوا لأنهم كانوا ينتظرون وصولا نجدات لهم من أسبانيا. وفعلا وصلت على رأس 55 سفينة بحرية، وأصبح الأسبان بها متفوقين، ورأى حسن بن خير الدين عدم تكافؤ قواته فانسحب آسفا حتى لا يتعرض لكارثة.

وعندما وصل إلى مدينة الجزائر، فكر في تنظيم البلاد إداريا، بشكل يسمح بضبط أمورها أحسن والتغلب على المشاكل الصعبة، استعدادا للمعارك المقبلة. فقسم الجزائر كلها إلى أربع بايليكات (ولايات)، منها بايليك الغرب الذي سيستعد وسيتحمل عبئ المقاومة والجهاد، ضد الاستعمار الأسباني، ووجوده في وهران والمرسى الكبير[2].

قيام بايليك الغرب:

بعد أن استقر الأخوة الأتراك الثلاثة بمدينة الجزائر عام 1516 بقواتهم

(1) Le général Didier: Histoire d'Oran (Oran, 1929). Tome VI. PP. 51 - 71, et Paul Ruff: La domination Espanole à Oran sous le gouvernement du compte d'Alaudete 1543 - 1558. (Paris, 1900). P181.

(2) المدني. نفس المصدر، ص: 379 - 383.

وقتل عروج وأخوه اسحاق بقلعة بني راشد وتلمسان عام 1518، وضع خير الدين نظاما إداريا له ولسلطته فقسمها إلى ثلاثة أقسام:

قسم الوسط: ويشمل مدينة الجزائر وما حولها، ووضعه تحت سلطته هو.

وقسم الغرب: ومركزه مدينة شرشال، ووضعه تحت سلطة السيد علي أحد أعوانه.

وقسم الشرق: ومركزه مدينة دللس، ووضعه تحت سلطة حسن بن القاضي أمير إمارة كوكو.

وبقيت الأمور هكذا على هذه الأوضاع حتى تولى ابنه حسن بن خير الدين منصب بايلرباي الجزائر، ففكر في وضع نظام إداري محكم يكون أكثر ملاءمة للأوضاع والتطورات الجديدة. وقسم البلاد الجزائرية كلها إلى أربعة أقاليم كل منها يحمل اسم: بايليك، ولو أن ظهورها وقيامها تم على مراحل ويحكمها البايات نوابا وخلفاء عن الباشوات، وهم من الأتراك أو الكراغلة المولدين: وهي:

أولا: بايليك مدينة الجزائر العاصمة وما حولها: ويشمل مدن: الجزائر والبليدة، وشرشال، والقليعة، ودلس، ويقال له دار السلطان لاستقرار الحاكم التركي به، وهو أول البياليكات ظهور.

ثانيا: بايليك التيطري والصحراء: وقاعدته مدينة المدية وأسس عام 1540م.

ثالثا: بايليك الشرق: وقاعدته قسنطينة وأسس عام 1565م.

رابعا: بايليك الغرب: أسس عام 1565، ويتولاه في بداية الأمر بايان اثنان واحد يستقر بمدينة مازونة، والآخر بمدينة تلمسان. وهذا يعني أن هذا البايليك قسم إلى قسمين. وفي عام 1706م وحد القسمان وأصبح يعين عليهما باي واحد، جعلت قاعدة حكمه قلعة بني راشد، ثم مدينة مستغانم، وأخيرا مدينة وهران بعد تحريرها الثاني والأخير عام 1792م.

ويعتبر الباي في البايليك صاحب السلطة العليا يسوس البلاد والسكان كما يشاء، وتتسم سياسته بالغلظة، والقسوة، والشدة. وله جهاز من الموظفين يساعدونه في أعماله يتألف مما يلي:

1) – خليفتان اثنان أحدهما ينوبه في الخروج إلى الأرياف لاستخلاص الضرائب والغرامات، واللازمة، وغيرها، من السكان. وفي السفر إلى مدينة الجزائر

لحمل أموال الدنوش عندما يتعذر عليه هو السفر بنفسه. والثاني ينوبه في حكم المدينة عندما يخرج هو لغرض من الأغراض.

2) – كاتبان عربيان أحدهما يحمل لقب باش دفتر دار، وهو كاتب السر، والثاني وهو أصغر منه ويتولى كتابة الرسائل وتسجيلها في سجل خاص.

3) – وزيران عربيان يحملان لقب الآغا، ويشتريان منصبهما بالمال والرشاوي الكبيرة، ويتوليان استقبال شكاوي الناس وعرضها على الباي، ويبديان رأيهما فيها، ولهما تأثير كبير عليه فيها فيرجع إليهما في كل الأمور، ولا يفصل في أي شيء إلا بعد العودة إلى رأيهما.

4) – أربعة أعوان من الأتراك يحملون لقب شاوش. ويلبسون لباسا خاصا مغايرا لشواش الباشا بمدينة الجزائر.

5) – هناك شواش آخرون من العرب مهمتهم تقديم الناس له وضبط أحواله. ومن عادة الباي عندما يعتزم الخروج لأمر من الأمور خاصة الحرب، أن يصحب معه الطبول، والغوايط، والسناجق، والنقارات، وغيرها من الآلات التي تستعمل للنفير في الحرب، وللإعلان في غيرها.

كما أنّ من عادة الباي في البايليك أن يحمل أموال الدنوش، وهي الأموال المستحقة عليه وعلى بايليكه للباشا بالعاصمة، ويتجه بها إلى مدينة الجزائر كل ثلاثة سنوات.

وعندما يقترب مَن المدينة ينزل في مكان يعرف بحوش الباي، ثم يرحل ليلا ليصل عند طلوع الفجر إلى المكان الذي يدعى: عين الربط، أن يستقبله هناك كبار موظفي الدولة بالعاصمة كالآغوات. والخزناجية، وخوجة الخيل، وأعضاء الديوان، بموسيقى وأغاني وأهازيج، ويحيونه ويطلقون النيران والبارود، ويستعرضون بعض الخيول والفرسان، ثم يقودونه في موكب حافل إلى مدينة الجزائر، وهو يرمي على مستقبليه قطع النقود يمينا ويسارا. فيتجه إلى منزل الباشا، ويسلم عليه، ويقدم فروض الطاعة والولاء، ويشرح له أوضاع بايليكه.

وبعد ذلك يقوده وكيله بالمدينة إلى المكان الذي خصص لإقامته، ويتولى خدمته طيلة المدة التي يبقى بها فيها، وفي اليوم الثاني يتجه إلى منزل الباشا ويسلم له الأموال التي حملها له، وجرت العادة أن باي بايليك الغرب يحمل إليه: النقود،

والعبيد، والحياك، وريش النعام، وبيضه، والزرابي القليعية، أمّا باي بايليك الشرق (قسنطينة) فإنه يحمل إليه: النقود، والبرانيس، والحياك، والمصوغات إلى جانب الحبوب، والحيوانات، والتحف.

وإلى جانب ما يقدمه الباي إلى الباشا فإنه يقدم كذلك مقادير أخرى لكبار الموظفين كل حسب مركزه ووظيفته، ويستضيفه الجميع لمدة أسبوع. وفي اليوم الثامن يودع الدع الجميع وينصرف، فيرافقه الآغا حتى يبتعد بمسافة عن المدينة، ويتسلم منه مبلغا من المال مقابل ذلك، وعندما يريد الباشا أن يتخلص منه يبعث من ورائه من يقتله ويصدر أوامر بتعيين من يخلفه في منصبه على رأس البايليك.

الجهاز الإداري للبايليك:

لكل بايليك من بايليكات الجزائر الأربعة، أجهزة إدارية متعددة ومتشابهة يمكن أن نميز منها الأجهزة التالية:

أولا: ديوان الأوجاق:

ويتألف من رجال المخزن أو أعضاء الحكومة الذين يحيطون بالباي، ويشاركونه في إدارة البايليك، ويحتفظون بالسلطات العليا إلى جانبه، ويتصلون به بصفة مباشرة، ويشتركون معه في اتخاذ القرارات، وهم:

1) - الخليفة: وهو المسؤول عن شؤون الأوطان او أقاليم البايليك، ويخضع إليه القواد، ورجال الميليشيا المنظمة. وينظم عملية استخلاص الضرائب. ويتولى إخضاع السكان لحكومة البايليك. ويذهب مرتين في العام إلى الجزائر العاصمة في الربيع والخريف، لحمل الدنوش إلى الباشا، وذلك في حالة عدم ذهاب الباي بنفسه.

2) - قائد الدار: وهو بمثابة شيخ البلدية حالياً، آغا متقاعد، مكلف بالإدارة وشرطة المدينة، وبتموين رجال الميليشيا برواتبهم الشهرية. وتمتد مسؤوليته على القسم الأكبر من أملاك البايليك وعقاراته، ومخازن الحبوب، وأئمة المساجد ووعاظها، والقضاة والمفاتي، الذين عليه أن يدفع لهم أجورهم، وأرزاقهم المستحقة. وإليه يعود أمر حفظ الأمن بالمدينة.

3) - النقاد او المقتصد: وهو صاحب السلطة على كل المصالح المالية، والإنفاق، وجمع الضرائب، وإعداد أموال الدنوش التي سترسل إلى العاصمة.

4) - قائد الدائرة أو آغا الدائرة: وهو أحد رؤساء فرسان المخزن، يدير فرق القوم غير المنظمة في الأرياف، ويتولى توفير ما تحتاج إليه، ويخرج مع الباي لمعاقبة القبائل العاصية.

5) - الباش كاتب، أو الكاتب العام: يحرر ويصحح البرقيات ورسائل الباي وكل ما يتصل بالشؤون السياسية للبايليك. ويتخذ لنفسه دفترا يسجل فيه كل أموال البايليك كنقود، والأحصنة، والبغال، وقطعان الأغنام، ويخرج مرة على مرة للمراقبة. ويختم رسائل الداي، ويستقبل رسائل الآخرين الواردة على البايليك، ويحرر رسائل الموظفين في البايليك. ويخضع له ثلاث نواب كتاب يتولون تحرير محاضر الجلسات المتصلة بالعدالة. والمراسلات العامة بين الباي، والخلفاء، والقواد.

6) - الباش سيار: وهو مسؤول عن قافلة البريد، ويحمل بنفسه رسائل الباي، إلى الباشا بالجزائر العاصمة، ويعود برسائل الباشا إليه، ويصحب الخليفة إلى العاصمة عندما يحمل الدنوش إلى الباشا.

7) - باش سايس، أو قائد الزمالة: مسؤول عن حيوانات البايليك، وحمايتها ورعايتها والاعتناء بها.

8) - باش شاوش: مكلف بتنفيذ الأوامر الموجهة إلى الأتراك، وتوضع تحت سيطرته كتيبة من الجنود الانكشاريين وفرقة من فرسان الصبايحية الكراغلة، وقوات أخرى من المخزن لتدعيمها.

9) - شاوش الكرسي: وهما من الأتراك، ويتوليان وظيفة الجلد، ويسيران أمام الباي عندما يخرج، ويتوسطان بينه وبين بعض المسؤولين الأجانب في مسائل السلم، وتمتين الروابط. ويعلنان للناس في الاجتماعات العامة سلامه وتحياته. ويقومان بجلد من يأمر الباي بجلدهم.

ثانيا: الموظفون الذين لا يتصل بهم الباي مباشرة:

1) - آغا الصبايحية: وهو مسؤول عن الصبايحية والشواش الذين يقومون بدور المساعدين.

2) - شاوش محلة الشتاء: مكلف بتوزيع ما يحتاج إليه جنود المحلة من المؤن والأغذية، والخيام، والأخشاب، التي يتوصل بها من قائد الدار مباشرة.

3) - باشا العلم: وهو الذي يحمل العلم أمام الباي عندما يخرج في مهمة. سواء في السلم أو الحرب.

4) - باش الطبل: وهو رئيس الطبول التي تضرب وتدق في حالات الحرب. والسلم كذلك، للنفير وغيره.

5) - باش المكاحل: وهو رئيس حرس الباي الخاص. ويحمل أسلحة الباي في الحفلات العامة، ويحكم فرسان الحرس الدائم للباي.

6) - باش خزناجي: يسخر لحراسة قوافل المحلة التي تستخلص الضرائب من الناس. ويتكلف بإعداد الأحصنة والخيول لحمل هذه الضرائب في كل مرحلة من مراحل هذه العملية. ويحمل أمتعة الباي عند سفره.

7) - باش مانقا: وهو مسؤول عن إعداد وتقديم البغال، والأحصنة. للقافلة التي يقودها الباي للقيام بغارة مفاجئة على منطقة ما.

8) - قائد موهر باشا، او خوجة الخيل: وهو مسؤول عن تنشيط سير البغال، والأحصنة، ويصحب الخليفة إلى مدينة الجزائر عندما يحمل الدنوش في الربيع. ويتكلف بإرسال أمتعة القافلة من عاصمة الجزائر إلى عاصمة البايليك في عودتها.

9) باش سراج: وهو مسؤول عن إسطبلات الباي في عاصمة البايليك.

ثالثاً: موظفوا قصر الباي:

1) قائد المقصورة. ويمثل وظيفة مقتصد قصر الباي الخاص.

2) باش الفراش. ويتكلف بفراش قاعات القصر.

3) قائد الجبيرة: ويتكلف بجبيرة الباي وتزويدها بالأموال اللازمة وتعهدها.

4) قائد السيوانة: ويحمل مظلة الباي في الأمطار، والحرارة.

5) قائد السبسي: ويتكلف بغليونة الباي، ويعد له حشيشة الدخان.

6) قائد الطاسة: ويتكلف بحمل أدوات شرب القهوة من الفضة خلال سفر الباي.

7) باش قهواجي: يقوم بإعداد القهوة وتقديمها للباي وضيوفه بالقصر.

8) قائد الدريبة: وهو البواب الأول لمنزل الباي. ويكون خصيا أسود، ويدعى آغا الطواشي.

رابعا: موظفوا المدينة الذين يخضعون لقائد الدار:

أمين الخبازين.

1) أمين الفضة.

2) قائد الباب: ويكون مسؤولا على السلع التي تدخل إلى أسواق المدينة للتجارة يستخلص من أصحابها الضرائب والمكوس المطلوبة. وفي العادة يكون له كاتب خاص، وعدد من المعاونين، والمساعدين، ويجلس بجانب أحد أبواب المدينة.

3) قائد السوق: او مفتش الأسواق.

4) قائد الزبل: وهو مسؤول عن تنظيف الشوارع والأسواق والحارات.

5) قائد القصبة: ويسمى في الجزائر العاصمة بالمزوار، وهو مسؤول عن شرطة المدينة في الليل، ويخرج مع خليفة العيال للمراقبة والتفتيش والتفقد.

6) البراح في الأسواق والساحات العامة لتبليغ الناس أوامر قائد الدار، والباي، والخلفية، خاصة قضايا الإعدام. ويصاحبه شاوش الباي.

7) باش الحمار: وهو مسؤول على البغال، ويتولى تجهيزها عند القيام بحملة ما.

8) وكيل بيت المال: ومن مسؤولياته: إعانة الفقراء والمساكين والتصرف في المواريث التي لا صاحب لها، وحفر القبور، وحماية المقابر، ويضع الباي دائما تحت تصرفه مبلغا من المال من الخزينة العامة لمواجهة هذه المشاكل[1].

جهود الدولة وبايات الغرب في تحرير وهران:

كانت محاولة حسن باشا بن خير الدين عام 1563، هامة ولم يقدر لها النجاح، وبعد ذلك التحق حسن بن خير الدين بدر غوث باشا في طرابلس واشترك معه في مهاجمة مالطة عام 1565 مع الأساطيل العثمانية[2].

بعد ثلاث سنوات من هذا الهجوم الكبير على مالطة، قام القرصان

(1) Mouloud Gaid: Chronique des Beys de constantine, (Alger, O. P. U. S. D) pp. 4 - 5 et 127 - 131.

(2) المدني. ص: 379 - 384. ديدبي، ص: 76 - 104.

الأوروبي المشهور دون جوان النمساوي: Don Juan d'Autriche شقيق الملك الأسباني فيليب الثاني بزيارة مدينة وهران والمرسى الكبير خلال شهر جويلية 1868 ليتفقد تحصيناتها وقلاعها الدفاعية.

وقضى بهما يومين كاملين، وشهد قداسا دينيا في وهران، ثمّ غادرهما للقيام بالغارات والهجومات على الموانئ والمدن الساحلية الإسلامية المغربية[1].

وفي مطلع العشرية الثالثة من القرن 17 م (1622م) حاولت القوات التركية مهاجمة الأسبان في أحواز مدينة وهران، وخاضت معارك عدة في جهات الهبرة، ثم هدأت الامور وخفت الحوادث ما عدا محاولة حاكم وهران الأسباني مهاجمة تلمسان في شهر جوان 1675 بنية احتلالها، ولكنه أخفق لأن القوات التركية والمجاهدين كانوا بالمرصاد له.

وقد اغتنم الداي الحاج محمد باشا هذه الفرصة وأمدّ سكان وهران، وباي الغرب بمدد عسكري فرضوا به حصارا على وهران مدة من الزمن لم يكن له تأثير كبير. ثمّ عاد الهدوء مرة أخرى للمنطقة، وانشغل كل طرف بمشاكله الخاصة.

ومن البايات الذين تولوا بايليك الغرب بعد حسن بن خير الدين، وقبل الباي شعبان الزناقي: الباي أبو خديجة عام 1564م، والباي صواق، والباي السايح المازوني، والباي ساعد، والباي محمد بن عيسى. وبايات آخرون لم يكن لهم شأن يذكر. إلى أن تولى أمر البايليك الباي الشجاع شعبان الزناقي عام 1679م (1098 هـ)، الذي أبدى من البطولة والشجاعة ما خلد ذكره في هذا البايليك وهذه البلاد.

محاولة الباي شعبان الزناقي (79 – 86):

تولى الباي شعبان أمر بايليك الغرب عام 1679، وبقي على رأسه ثماني سنوات حتى استشهد. وأولى عظيم اهتمامه بأمر تحرير وهران، والمرسى الكبير، وأخذ يشن الغارات والحروب ضد المحتلين الأسبان بصفة دورية كلما سمحت الفرصة. وفي عام 1686م أعد حملة كبيرة حشد فيها ثلاثة آلاف رجل، ووفر لهم ما يلزم من العدة، والذخيرة، وخرج على رأسهم من مدينة معسكر قاصدا وهران.

(1) Jean Cazenave: Don Juan d'Autriche visite Oran (1568). A. N. illu. (Alger, 17/02/1924). Et Didier. Ibid, pp. 145 - 146.

وعندما وصل إليها خرج إليه الأسبان مستعينين بالخونة من عرب بني عامر، واصطدام بهم في المكان الذي يعرف بكدية لخيار، وهزمهم، وشتت شملهم، وكانت البداية حسنة ومشجعة، ولاحقهم بعد ذلك إلى أسوار المدينة بجانب حصن رأس العين، وشرع في قذف حصونهم والتضييق عليهم حتى بدأ عليهم الإعياء، وكانت نتائج المعارك إلى ذلك الوقت في صالحه، غير أن الخونة المرتدين الذين باعوا ضمائرهم ووطنيهم برزوا كجراثيم، واستعملوا كل حيلهم، ودسائسهم لمقاومته ورده، وتمكن أحدهم وهو من عرب بني عامر، بإصابته بسهم قاتل فأراده قتيلا، وأسلم روحه إلى الله، وأسرع الأسبان والخونة معهم اليه وحزوا رأسه وعلقوه على أبواب المدينة بينما تمكن المجاهدون من أخذ جثته ودفنها في كدية لخيار ثم سلم الأسبان رأسه إلى السكان وأضيف إلى قبره على ما قيل في قصة قد تكون صحيحة وقد تكون ملفقة وبقي قبره معروفا حتى الاحتلال الفرنسي. وبالطبع فإن مقتله أثر على جنود الحملة. فانسحبوا آسفين. وأعدّ خلفه الباي إبراهيم خوجة حملة أخرى في العام 1687م. وحاصر وهران وشرع في قذفها.

ولكن الداي بالعاصمة أمر برفع الحصار والالتحاق بالجزائر العاصمة لمواجهة حملة الماريشال دوستري الفرنسي على العاصمة فامتثل للأمر وانسحب[1].

وفي عام 1704 هاجم أسبان وهران سكان الضواحي، وأسروا 250 شخصا فغضب الداي حسين خوجة بالعاصمة، وتأثر من هذه الأعمال المتوحشة، وأعد حملة ضدهم عام 1706م كانت بمثابة تمهيد لحملة الباي الشجاع مصطفى بو الشلاغم الناجحة التي حررت وهران والمرسى الكبير في العام الموالي والذي بعده، لمدة ربع قرن من الزمن.

الباي مصطفى بن يوسف بو شلاغم المسراتي (1686 – 1733):

تولى مصطفى بن يوسف بوشلاغم المسراتي بايليك الغرب في نفس السنة التي استشهد فيها الباي شعبان. وجمع بين مازونة وتلمسان، ووحدهما تحت سيطرته، لأول مرة بعد أن كانت كل منهما تحت باي مستقل عن آخر.

(1) Le commandant. I. Derien: Les français à Oran depuis 1830 à nos jours. (Alger, 1886) pp. 9 - 24 et Didier, Ibid Tome VII (1932) , pp. 361 - 381.

ونقل عاصمة البايليك منهما إلى قلعة بني راشد، ثمّ إلى معسكر التي تقع في مركز وسط بين تلمسان ومازونة، وتقترب كثيرا من وهران.

وقد أولى بوشلاغم اهتماما كبيرا بأمر وهران والمرسى الكبير، وأظهر استعداده لتحقيق تحريرهما، ووجد في الداي محمد بكداش بالجزائر العاصمة خير معين ومساعد له، ومشجع، فأعد له حملة من ثلاثة ألاف رجل، وذخيرة كبيرة قيل أنها بلغت ثلاثة ألاف قنطار، وأرسلها إليه تحت قيادة صهره ووزيره أوزون حسن بن حسن الطويل، وعندما وصلت إلى معسكر قادها بوشلاغم بعد أن ضم إليها ما لديه من القوات، واتجه إلى وهران، وكان ضمن رجالها طلبة العلم، والعلماء والفلاحون، وعمال الأرض المجندون.

وعندما وصلت إلى وهران فرضت الحصار على برج العيون يوم 14 جوان 1707م (منتصف ربيع الأول 1119) وأسرت به 545 رجلا، وشابا. وقتلت المئات من الأسبان، واستولى المجاهدون على ذخائر هائلة حربية وتموينية.

وبعد هذا اتجه المجاهدون إلى حصن الجبل، سانتا كروز، وأحاطوا به وحاصروه وفتحوه يوم 25 سبتمبر 1707م، (27 جمادى الثاني 1119) وأسروا به 106 رجلا وستة نسوة.

ثم اتجهوا إلى حصن الزاوي بن كبيسة اليهودي الذي يعرف كذلك بحصن حسن بن زهوة اليهودي. ويقع تحت حصن الجبل بعدة مئات من الامتار، وأحاطوا به يوم 22 جمادى الثانية 1119 وحاصروه شهرين كاملين تقريبا وذلك لحصانته، وشدة صمود المقاومين داخله، وتم فتحه يوم 6 نوفمبر 1707 (5شعبان 1119) وقتلوا به 120 رجلا، وفر ثمانية منهم وسلموا أنفسهم للباي بوشلاغم.

وبعد هذا اتجه الجيش الاسلامي إلى مدينة وهران نفسها وحاصروها من كل جهة وتم لهم فتحها واقتحامها يوم 20 جانفي 1708 (26 شوال 1119م) وذلك بدون قتال بعد أن فتحت معظم الحصون والقلاع حولها. ولم يبق إلا البرج الأحمر، والبرج الجديد (برج الصبايحية) فاتجه الجيش الاسلامي اليهما وأحاط بهما من كل جانب، وقاوم من بداخلها يوما كاملا ثم استسلموا وكان عددهم 560 رجلا، ودخل المسلمون اليهما واستولوا على كل ما بهما من أموال وذخائر وكان ذلك يوم 14 فيفري 1708م.

وبعد أن انتهى المسلمون من فتح وهران وقلاعها، اتجهوا إلى برج المرسى الكبير الذي فر إليه حاكم وهران وكبار ضباطه وحاصروه كذلك من كل جهة وفتحوا ثغرات في جدرانه بالقنابل، واقتحموه وفتحوه، يوم 16 أبريل 1708م، وقتلوا معظم من به من الجنود والمدافعين وكان عددهم حوالي ثلاثة آلاف رجل وامرأة وبلغ مجموع ما أسره المسلمون في وهران والمرسى الكبير 461 شخصا. وأباح بوشلاغم دماء المغطسين من بني عامر الذين تعاونوا مع الأسبان، حتى يشفي المجاهدون غليلهم منهم[1].

وعلى أثر هذا الانتصار العظيم نقل بوشلاغم عاصمة البليك من معسكر إلى وهران وشرع في تجديد عمران المدينة وإعادة الوجه العربي الاسلامي إليها. وكان من ضمن مؤسساته العمرانية بها: الحمام، والروضة، والقبة، الجميلة، والأقواس في حي الساحة الأسبانية، والعين الجارية المشرفة على حي البحرية.

وقد اجتهد بوشلاغم في تدعيم مركزه بوهران وباقي جهات الغرب الوهراني واستمر على رأس البايليك حوالي ربع قرن، ثم كر الأسبان عليه مرة أخرى بقوات ضخمة تعد 30 ألف رجل و525 سفينة و720 مدفعا، وآلاف القنابل، والقذائف، والبنادق. وكميات ضخمة من الذخائر الحربية، ووصلت إلى وهران في عام 1732م ونزلت بعيون الترك في شهر جوان من نفس العام. وتقدمت في اتجاه المرسى الكبير ووهران، فواجهتها القوات الإسلامية في عدة معارك ولكن عدم تكافؤ القوتين جعل المسلمين يتراجعون واضطر بوشلاغم أن ينسحب من المدينتين ويخليهما في شهر جويلية وتأسف الناس جميعا لذلك، ولازم الداي بالجزائر العاصمة داره حتى توفي كمدا من شدة تأثره بالنكبة.

وكان من ضمن ما أخذ عليه بوشلاغم هو عدم تحطيمه وتخريبه لحصون المدينة التي وجدها الأسبان جاهزة عندما عادوا إليها واستعملوها بسرعة في تحصين مواقعهم وتدعيمها. وسيتفادى الباي محمد بن عثمان الكبير هذا في الفتح الثاني عام 1792 بعد حوالي ستين عاما تقريبا.

---

(1) محمد بن ميمون: التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية. تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكريم (الجزائر 1972) ص: 203 - 264.

انسحب بوشلاغم إلى مدينة مستغانم واستقر بها، وأخذ من هناك يشن الحروب والغارات على الأسبان طوال سنة تقريبا. ففي يوم 4 نوفمبر 1732م هاجم وهران، وخاض عدة معارك ضد الأسبان، واستشهد ابنه خلالها. وجدد هجومه يوم 12 نوفمبر وانتقم لابنه فقتل الماركيز دوسانتا كروز وعددا آخر من الضابط الأسبان.

وفي عام 1733م هاجم المجاهدون وهران وقتلوا الماركيز دومير وسنيل، وهاجم بوشلاغم برج العيون ولم يتمكن من احتلاله [1].

وخلال إقامة بوشلاغم بمستغانم بنى برج الترك، وتوفي بها عام 1733م بعد أن حكم البايليك سبعة وأربعين عاما، ودفن في ضريح مشهور، ودفن معه فيما بعد صديقه وخادمه الأمين الآغا البشير ابن أحمد بخدة جد البحايثية.

وكان جده محمد قد بنى قصبة القلعة ببني راشد التي تعرف حتى اليوم بقلعة المسراتية أو قصبة بني يوسف.

الباي مصطفى بن يوسف بوشلاغم المسراتي:

خلف أباه في البايليك وتولاه حوالي عام، ثم توفي بمرض الطاعون في مدينة تلمسان عام 1734م (1147 هـ) ودفن بها ولم يكن له شأن.

الباي مصطفى الأحمر المسراتي:

تولى بعد يوسف في نفس العام ومات بمستغانم ودفن بها إلى جانب أبيه. وكلا الأخوين لم يكن لهما شأن في إدارة الديليك وأحداثه.

الباي قايد الذهب المسراتي:

اشتهر بالكرم والجود حتى لقب بقايد الذهب، وباي الأمحال. وقد ثار ضده شخص يدعى عثمان، فعجز عن مواجهته وفر إلى الأسبان في وهران لخوفه على ما يبدو من معاقبة الدّاي بالعاصمة له. غير أن رفاقه اتصلوا به، واتفقوا معه على التعاون من أجل القضاء على الثائر عثمان، واتفقوا على اللقاء في الشلف بين واد مينا، وواد الشلف، وهناك بايعوه قائدا عليهم وأعلنوا الحرب ضد عثمان المتمرد، وأعلن باشا الجزائر تأييده لحركتهم. ثم إن قايد الذهب عيره وعنفه الباشا على فشله فتألم من ذلك وتخلى عن منصبه وفر إلى تونس واستقر بها حتى توفي وذكر صاحب كتاب دليل الحيران بأن قبره معروف هناك.

(1) المدني، ص: 453 - 481.

الباي محمد المجاجي:

حكم حوالي تسعة أعوام وانتهت حياته بالقتل من طرف خصومه، ولم نجد أثرا لأعماله في ما راجعناه من مصادر.

الباي الحاج عثمان ابن ابراهيم:

تولى بايليك الغرب مرتين الأولى بتلمسان وثار ضده الباي المسراني ابن مصطفى بوشلاغم وسكان المدينة ففر إلى الجزائر العاصمة والثانية عام 1747م (منصف محرم 1160هـ) واستغل نفوذه ومنصبه وانتقم من سكان تلمسان. وصب عليهم جام غضبه. وقتل الكثير منهم، وسبى أهلهم وشردهم وارتكب ضدهم أعمالا قاسية وغير مشرفة سجلها بعض شعراء الملحون ومنهم الشاعر الشعبي ابن السويكت السويدي.

ومع كل هذا فقد دام حكم الباي عثمان حوالي تسع سنوات، وبنى الجامع الكبير بمعسكر في أول عام من توليته.

وبنى الدار والقبة الملاصقة لها التي تعرف بقبة الباي إبراهيم والتي دفن فيها أبوه الباي إبراهيم، وقد قام بشن عدة غارات على وهران لم تصادف نجاحا وتوفي عام 1756م (1170هـ).

الباي حسن:

تولى عام 1756م ولم يبق طويلا في منصبه لأنه تعرض لإهانة من طرف باشا الجزائر تعود على ما يبدو لضعف إرادته وعدم حزمه، ففر إلى اسطنبول عاصمة الدولة العثمانية وتوفي بها.

الباي إبراهيم الملياني:

تولى في نفس العام 1756م واشتهر بحبه للعلماء، وطلبة العلم، وتكريمه لهم، وقضاء مآربهم، وعدم رد أي طلب لهم. بنى برج العسكر بمدينة معسكر، ووظف اسماعيل ابن بشير البحثاوي آغا له وبقي في منصبه حتى توفي عام 1771م بمدينة معسكر، فدفن في القبة التي بناها الباي الحاج عثمان بجوار الجامع الأعظم.

الباي الحاج خليل:

خلف الباي ابراهيم، وسلك سياسة معاكسة له تماما، خاصة فيما يتصل

بالعلماء والمشايخ الذين كان يمقتهم ويكرههم، وينكب بهم لأتفه سبب. وعلى هذا الأساس نكب بالشيخ أبي ترفاس، والشيخ المدني الغريسي والشيخ الموفق ابن سعيد الشقراني البوشيخي، وقد توفي عام 1778م ودفن في قبة سيدي محمد السنوسي بتلمسان، وخلفه من بعده، الباي محمد ابن عثمان الكبير الذي سيكون له شأن في طرد المستعمرين الأسبان من وهران والمرسى الكبير، وتحريرهما بصفة نهائية عام 1792م كما سيأتي. وقبل الحديث عنه التأريخ لأحداثه لا بد من الاشارة إلى بعض الأحداث والخلفيات ذات الصلة بأسبان وهران ودولتهم بأسبانيا تجاه وهران والمرسى الكبير، وبعض القضايا الأخرى.

فمنذ عقد الخمسينات من القرن الثامن عشر والأسبان يحاولون التفاوض مع الجزائر لإقرار الصلح وتوثيق الروابط، ولكن الجزائر رفضت وأصرت على الرفض ما داموا يحتلون وهران والمرسى الكبير. وفي عام 1776م توصل الطرفان إلى اتفاق لتبادل الأسرار فأطلقت أسبانيا سراح 1200 أسيرا مسلما، كانوا مسخرين للتجديف. وأطلقت الجزائر سراح 712 أسيرا مسيحيا أسبانيا للتجديف. وأطلقت الجزائر سراح 712 أسيرا مسيحيا أسبانيا مقابل مبلغ مالي.

وجدد هذا الاتفاق عام 1783م فأطلقت أسبانيا سراح 1160 أسيرا جزائريا، وأطلقت الجزائر سراح 570 أسيرا أسبانيا. ولكن الأحقاد كانت قد تأصلت في الأسبان ولم يطيقوا أن يسايروا هذه السياسة، وأعدوا حملة بحرية كبيرة من 76 سفينة، والآلاف من الرجال وجهوها ضد مدينة الجزائر في صيف عام 1783م. وعلم الداي محمد عثمان باشا بأمر هذه الحملة عن طريق سلطان المغرب الأقصى محمد ابن عبد الله[1]، فاستعد لمواجهة المعتدين وردعهم، وجمع حوالي 25 ألف رجل من بايليك الشرق، و20 ألف رجل من بايليك الغرب

(1) كان السلطان محمد ابن عبد الله حريصا على تجنيب الجزائر الغارات الأسبانية فزيادة على إخطار الجزائر بالاستعدادات الأسبانية ضدها، كتب رسالته إلى ملك أسبانيا كارلوس الثالث بتاريخ: 26 جمادى الثانية 1198 (17 ماي 1784) طلب منه تأخير الحملة العسكرية ضد الجزائر حتى يتصل بجواب من الداي وأكد له بأن الجزائر ستبرم الصلح لا محالة انظر:
Archivo historico national de Madrid, seccion de Estado, Legajo 3615, correspondancia de Los Dayes.

(معسكر) و5 آلاف رجل من بايليك التيطري، وأرسل الأسرى المسيحيين بالجزائر العاصمة إلى مدينة المدية ليكونوا بعداء عن الحوادث ولا يتمردوا، وأخرج من المدينة الأطفال والنساء والعجزة وأبعدهم عنها حتى لا يتعرضوا للأخطار، وأعد 25 سفينة حربية لتلعب دورها في البحر كذلك إذا لزم الأمر.

وقد بدأت المعارك منذ يوم 29 جويلية ودامت حتى يوم 09 أوت، ولم يحصل الأسبان على طائل، وانسحبوا خائبين بعد أن فقدوا عددا من الرجال والمراكب البحرية واستشهد من الجزائريين 100 رجل بالميناء، و300 بالمدينة، وخرب 800 منزلا من جراء القذف البحري.

وفي عام 1784م جدد الأسبان الكرة مرة أخرى ضد الجزائر فأعدوا حملة من 130 مركبا واشترك معهم البرتغاليون بمراكب، وباركهم البابا. فنزلوا بخليج الجزائر يوم 9 جويلية، وابتدأت المعارك يوم 12 وتواصلت إلى يوم 23، ولم يحصل الأسبان على طائل فانسحبوا وتدخل القنصل الفرنسي كيرسي: Kercy وحقق صلحا بين الطرفين أبرم يوم (15) جوان 1785، والتزمت أسبانيا بأن تدفع مبلغا ماليا للجزائر. غير أنها تلكأت في تنفيذ ما التزمت به لأنها كانت تطمح إلى الحصول على امتيازات اقتصادية أكثر فائدة لها، بعد أن تأكدت من انسحابها من وهران والمرسى الكبير[1].

الباي الأكحل بن عثمان الكبير الكردي 1778 – 1799:

تولى محمد الأكحل بن عثمان الكبير الكردي، بايليك الغرب عام 1778 بعد موت الباي خليل، واستقر بمدينة معسكر بدلا من مستغانم، وكان أسود اللون مما جعل الناس يلقبونه بالأكحل، وصالحا، وشهما، وشجاعا، جعل من أمر تحرير وهران والمرسى الكبير قضيته الأولى فأكثر من شن الغارات والهجومات على الأسبان وعلى أعوانهم حولهما.

ففي عام 1780 شن هجوما خاطفا على وهران، واصطدم مع الأسبان حول أسوارها وتمكن من قتل عدد لا بأس به منهم، وفي 14 سبتمبر 1784

(1) المدني، نفس المصدر، ص: 485 - 520. مسلم ابن عبد القادر: أنيس الغريب والمسافر. تحقيق. وتقديم: رابح بونار (الجزائر – 1974) ص: 11 - 24.

هاجمهم مرة أخرى وحاصر وهران وتمكن من تخريب قناة المياه التي تزودها بالمياه. وهاجم حصون المدينة: وتمكن يوم 26 من نفس الشهر من احتلال البرج الأحمر فترة من الزمن ثم انسحب، وكان ذلك بمثابة محك وتجربة للمعارك القادمة التي ستتوالى بدون انقطاع.

ولكي ندرك مدى انشغال الدولة الجزائرية بقضية وهران والمرسى الكبير، نستعرض فيما يلي ملخصات لعدد من الرسائل التي تبودلت بينها وبين الساسة الأسبان حولها في عقد الثمانينات ومطلع التسعينات من القرن الثامن عشر حتى انجلاء الأسبان عنهما.

ففي يوم 22 ذو القعدة 1199م (26 سبتمبر 1785) كتب باي معسكر محمد بن عثمان الكبير، رسالة إلى الوزير الأول الأسباني الكوندي دي فلوريدا بلانكا، أخبره فيها بأنه ذهب إلى الجزائر وحضر اجتماعا لدى الداي ضم أيضا الكوندي دي سبيي مبعوث أسبانيا لإعداد شروط الصلح مع أسبانيا وذكر بأنه أصدر عفوا على الجزائريين بوهران، وطلب منه أن يكاتب حاكم وهران الأسباني فيطلق سراحهم كي يلتحقوا بمواطنهم، وتعهد له بعدم التعرض لهم بأذى من طرف أي أحد[1].

وقد أجابه الكوندي دي فلوريدا بلانكا برسالة عبر فيها عن سروره بقراره هذا وبالتزامه عدم مهاجمة وهران، وطلب منه العمل على تخطيط الحدود بينها وبين بايليك الغرب، وعرض عليه فكرة تزويد أسبان وهران بما يحتاجون اليه من المؤونة والأغذية، وأكد له بأنه سيكتب إلى حاكم وهران ليطلب منه الكف عن مهاجمة سكان النواحي المسلمين كذلك وأخبره بأن الأسير المدعو بن علي ولد القائد سيطلق سراحه بوهران كبرهان على حسن النية والاستعداد لإقامة صداقة بين الطرفين[2].

وفي نفس العام (1785) كتب الكوندي دي فلوريدا بلانكا رسالة إلى وكيل الحرج حسن بالجزائر أخبره فيها بأنه اتصل برسالته التي حملها إليه الكوندي دي

(1) Ibid. L. 3615.

(2) A. H. N. de Madrid, seccion de Estado, Legajo 3615, correspondancie de Los Dayes.

سبيي، وفرح هو والملك الأسباني بما جاء فيها حول طلبه من باي معسكر عدم مهاجمة وهران وسعيه الحثيث لتحقيق ابرام الصلح بين البلدين، وأكد له بأنه أعطى أوامره لحاكم وهران ليطلق سراح أولئك الناس الذين عفا عنهم باي معسكر وتعهد بعدم التعرض لهم عندما يلتحقون بمواطنهم[1].

وفي يوم 25 أبريل أرسل الملك الأسباني كارلوس الثالث رسالة إلى الداي محمد عثمان باشا، أخبره فيها بأنه اتصل برسالته التي حملها إليه الكونديدي سبيي، وفرح بجهوده التي بذلها لدى باي معسكر ليكف عن مهاجمة وهران وذكر له بأنه كلف دي سبيي بأن يذهب إلى معسكر ليتفاوض مع الباي ويتوسط بينه وبين حاكم وهران لإبرام اتفاق أو هدنة بينهما وتعهد له بأنه قرر عدم إعطاء جوازات سفر أسبانية للأشخاص الذين يعادون الجزائر وسيضيف ذلك إلى شروط الصلح التي ستوقع بين البلدين، وتمنى منه ألا يضايق الأسبان والبواخر الحاملة للعلم الأسباني بالجزائر، وأخبره في الأخير بأنه سيرسل إليه بشروط الصلح التي تم اعدادها بعد أن يمضيها ويختمها الوزير الأسباني الأول[2].

وفي يوم 15 نوفمبر 1786 كتب علي خزندار بالجزائر رسالة إلى الوزير الأسباني الأول باللغة الإيطالية حدثه فيها عن مهمة إرسال الكوندي دي سبيي إلى مدينة معسكر للتفاوض مع الباي محمد بن عثمان الكبير والاتفاق معه على عدم مهاجمة مدينة وهران[3].

وفي نفس العام (1786م) كتب الكوندي دي فلوريدا بلانكا رسالة إلى وكيل الخرج حسن بالجزائر أخبره فيها بأن الكندي دي سبيي هو في طريقه إلى الجزائر حاملا معه شروط الصلح التي أمضاها الملك الأسباني وطلب منه أن يبذل جهوده لدى تونس لتحقيق ابرام صلح معها على غرار الصلح مع الجزائر، ورجاه أن يساعد دي سبيي في مهمته لدى باي معسكر من أجل تحقيق هدنة بينه وبين

(1) Ibid. L/ 3615.

(2) Ibid. L/ 3615.

(3) Ibid. L/ 3615.

حاكم وهران الأسباني[1].

وفي يوم 26 فيفري 1787 كتب الكوندي دي فلوريدا بلانكا رسالة إلى علي خزندار بالجزائر شكره فيها على جهوده الخاصة التي بذلها لدى باي معسكر لكي يكف عن مهاجمة وهران[2] وكتب كذلك إلى حسن وكيل الخرج رسالة في نفس العام (1787) جوابا على رسالته السابقة اليه وطلب منه أن يستعمل نفوذه لدى باي معسكر حتى يكف عن هجماته المتكررة ضد وهران، ورجاه أن يتدخل لدى الداي ليأمره بالامتثال لأوامره، ويكف عما أسماه اعتداءاته على وهران وذكر له بأن هذا الباي لا يمتثل حتى لأوامر الداي، ويقوم بشن الغارات والهجومات المتوالية على المدينة ومن فيها من الأسبان[3].

وفي يوم 9 شوال 1203 (4 جويلية 1789) كتب حسن وكيل الحرج بالجزائر رسالة إلى الوزير الأول الأسباني دي فلوريدا بلانكا، حدثه فيها عن قضية اعتقال باي معسكر لثلاثة أشخاص أسبان حول وهران وذكر له بأنه سوف يطلق سراحهم كعنوان على الصداقة التي ترتبط بين البلدين وتمنى أن تفعل أسبانيا نفس الشيء من جانبها[4].

وفي يومي 8 و9 أكتوبر 1790 تعرضت وهران لزلزال مدمر خرب أكثر من ثلثيها، وقتل أزيد من ثلاثة ألاف شخص من سكانها الأسبان، واغتنم البعض منهم الفرصة لممارسة النهب والسلب لبيوت الأثرياء من اخوانهم وزملائهم.

وبالطبع فان هذا الزلزال حطم معنويات الأسبان ونال من مركزهم وقوتهم، فاستغل محمد بن عثمان الفرصة، وجمع ما أمكن جمعه من الرجال والعتاد، وزحف على وهران وضيق على من بقي بها من الأسبان وعددهم لا يزيد على 1526 شخصا من العسكريين. فأنجدتهم أسبانيا بسبعة آلاف رجل، وتواصلت المعارك طوال صيف وخريف عام 1791، وفي كل مرة يتقدم جيش محمد بن

(1) نفس المصدر ملف 3615.

(2) نفس المصدر ملف 3615.

(3) نفس المصدر ملف 3615.

(4) نفس المصدر ملف 3615.

عثمان خطوة نحو المدينة ويحصن مواقعه ويحسنها، ويسلحها.

فضاع أمل الأسبان في الاحتفاظ بالمدينة. وطلبت أسبانيا من داي الجزائر أن يقبل بتطبيق صلح عام 1785، فرفض إلا إذا قبلت الانسحاب من وهران والمرسى الكبير.

وعندما تولى الباشا بابا حسن منصب الداي خلفا لمحمد عثمان باشا عام 1791م، تقدمت أسبانيا بطلب إبرام الصلح، وقبلت مبدأ الجلاء عن وهران والمرسى الكبير، فأجابها لطلبها، وكتب الملك الأسباني كارلوس الرابع رسالة إلى الداي حسن حدثه فيها عن اعتزام أسبانيا الجلاء عن مدينة وهران والمرسى الكبير وإخلائهما. وتهديم تحصيناتهما، حتى لا تقع في أيدي قوى أوروبية أخرى، حسب زعمه. وطلب منه مهلة ستة أشهر بدلا من ثلاثة أشهر لإخلائهما، وتهديم تلك الحصون والقلاع وتمت هذه المراسلة يوم 28 سبتمبر 1791 [1]، وتبودلت عدة مراسلات أخرى. بصفة مكثفة حول الجلاء عن هذه المدينة، وقضايا أخرى ذات صلة بها، وبالتجارة، والعلاقات البحرية، والاقتصادية، والصناعية، والقنصلية. وتوجد هذه الرسائل في أرشيف التاريخ الوطني لمدينة مدريد بأسبانيا. وقمنا بعمل فهرس لها وتحليل نشرناه كدليل للباحثين والمؤرخين. وقد جرت مفاوضات عديدة بين أسبانيا والجزائر خلال عام 1791 انتهت بإبرام اتفاق يوم 9 ديسمبر 1791 نص على الامور التالية:

1 - تنسحب أسبانيا من وهران والمرسى الكبير دون قيد أو شرط.

2 - تدفع للجزائر مبلغ 120 ألف فرنك سنويا.

3 - تعيد للجزائر ما غنمته من وهران عام 1732 من مدافع وأسلحة.

4 - ترسل للسلطان العثماني مفتاحين ذهبيين للمدينتين، وقلة من مائهما.

5 - تسمح الجزائر لأسبانيا بشراء ثلاثة آلاف كيلة من القمح الجزائري.

6 - تسمح لها كذلك بأن تؤسس مركزا تجاريا بالغزوات.

7 - تسمح لها بأن تصطاد المرجان في السواحل الغربية للجزائر[2].

(1) Ibid. L/ 3615.

(2) المدني، ص: 523 – 527. وكذلك جان كازناف:
Jean Cazenave: les gouverneurs d'Oran pendant l'occupation Espagnole de cette ville 1505 - 1792. R. (Alger, 1930) T. 71. pp. 257 - 299.

وفي يوم 17 ديسمبر 1791 بدأ الانسحاب وانتهوا من ذلك في مطلع عام 1792 ودخل محمد بن عثمان الكبير وهران يوم 22 فيفري 1792م دخول الفاتحين الأبطال، وعمت الفرحة جميع الناس في الغرب وكل جهات الجزائر.

واهتم الباي محمد بن عثمان بتعميرها وإعادة الحيوية اليها، فاستقدم الناس للسكنى بها من جهات كثيرة حتى من وجدة، وفاس، ومكناس، وتلمسان، وأقطعهم الأراضي لبناء الدور والمنازل، والمتاجر. وقام بتهديم الحصون والأبراج والصوامع الأسبانية حولها حتى يقطع كل أمل للأسبان في العودة إليها. ومن ضمنها: حصن مرجاجو، وحصن رأس العين الكبير والصغير، وبرج لويس، وبرج فرناندو، وحصن كارلوس، وغيرها وذلك على عكس مصطفى بوشلاغم الذي أبقى عليها فأفادت الأسبان عندما عادوا إليها.

وحتى يعيد إليها الوجه العربي الاسلامي، أسس عدة مساجد ومدارس منها: مسجد بناصف في المكان الذي وقف فيه فرسه لدى باب المدينة عندما كان يستعد للدخول اليها يوم الفتح. ومسجد أو جامع الباشا الذي شيده المهندس محمد الشرشالي، ومسجد ومدرسة خنق النطاح (جامع الباي حاليا) كما بنى قلعة البرج الأحمر، والجامع الأعظم، بحي عين البيضاء في معسكر، وجامع الكرط، والجامع الأعظم بالبرج.

وتوافد الناس في عهده زرافات ووحدانا لسكنى وهران خاصة العلماء والتجار وأصحاب الصناعات والحرف الحرة التقليدية، فتوسع عمرانها بسرعة، واستعادت حيويتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، والدينية، بعد أن استقطبت الطبقات النيرة من هذه الفئات. وحتى اليهود وجدوا بغيتهم لدى الباي محمد بن عثمان، وحصلوا منه على أراضي لبناء المنازل، ورخص، لممارسة الاعمال التجارية والمهن المختلفة الأخرى كالنسيج، والدباغة والإسكافة وغيرها.

وزيادة على هذه الأعمال العمرانية والحضارية التي انجزها محمد بن عثمان الكبير بوهران ومعسكر، والبرج وبني راشد، فانه قام بتفقد جهات كثيرة من البلاد غربا وجنوبا وشرقا. فغزا الأغواط والشلالة، وعين ماضي، وبني سناسن، وأدب العصاة ونظم الأمور، وأنجز عدة أعمال إدارية وعمرانية وثقافية.

وقد استمر في حكم بايليك الغرب عشرين عاما تقريبا، وتوفي في بلاد

صبيح عام 1799م خلال عودته من الجزائر العاصمة، فنقلت جثته إلى وهران ودفن في مدرسة ومسجد خنق النطاح التي تدعى اليوم بمسجد الباي، والتي بناها بنفسه. وخلفه في منصبه ابنه عثمان[1].

وبعد أن تم الجلاء النهائي عن مدينة وهران في مطلع عام 1792 تبودلت عدة رسائل بين المسؤولين في الجزائر وأسبانيا حول عدة مسائل ومشاكل انجزت عن ذلك الجلاء، خاصة حول التجارة الأسبانية بها وبالمنطقة الغربية ككل.

فكتب الملك الأسباني الجديد كارلوس الرابع رسالة إلى الداي الجديد حسن بالجزائر بتاريخ 21 أوت 1792 حدثه فيها عن ارسال نائب القنصل الأسباني ميغيل دولا ريا إلى مدينة وهران لتنصيب القنصل الأسباني الجديد بها ليشرف على تطبيق البند الخاص بالتجارة مع الأسبان وطلب منه أن يقدم له المساعدات اللازمة لأداء مهمته هذه وأن يأمر باي معسكر (وهران) بتقديم المساعدة له كذلك[2].

وفي يوم 21 صفر 1208 (28 سبتمبر 1793) كتب الداي حسن رسالة إلى الملك الأسباني كارلوس الرابع حدثه فيها عن شكاوي نائب القنصل الأسباني حول متاعب أحد التجار الأسبان بوهران الذي اشتكى له من منعه شراء عشرة آلاف كيلة قمح المتفق عليها حسب شروط صلح اخلاء المدينة والجلاء عنها وذلك لأنه رفض دفع مبلغ ألف سكين المتفق عليها شهريا حسب بنود الصلح كذلك، وأخبره بأنه كتب إلى باي معسكر (وهران) وطلب منه إلغاء الامتيازات التجارية الأسبانية بوهران وجعل ذلك حرا للجميع على أن يكون التجار الجزائريون أحرار في التعامل التجاري مع من شاؤوا حسبما تمليه عليهم مصالحهم التجارية وأخبر الداي حسن الملك الأسباني بأن دعاوى القنصل الأسباني باطلة، وأنه تجاوز حدوده كقنصل وتطاول على باي وهران، واتهمه بأشياء باطلة وطلب منه أن ينقله من الجزائر ويعوضه بآخر ملائم ولائق لمثل هذه المهمة وأوضح له بان مبلغ 52 سكينا الذي أخذ من التاجر الأسباني بوهران ينص عليه اتفاق الجلاء عن المدينة.

وفي الأخير استدرك له بأن باي وهران اعتقل مركبا أسبانيا يحمل جواز

(1) دليل الحيران، ص: 120 - 130. أنيس الغريب، ص: 62 - 65.

(2) A. H. N. de Madrid, L. 3615.

سفر مزور، ولكنه أطلق سراحه حفاظا على العلاقات الطيبة بين البلدين[1].

وفي يوم 8 أكتبر 1793 كتب كارلوس الرابع رسالة جوابية للداي حسن اعتذر له فيها عن تصرفات القنصل الأسباني السابق، وأبلغه بأنه قد عزله وعوضه بالقنصل ميغيل دولاريا الذي سبق وأن عمل بالجزائر قنصلا لأسبانيا، وحدثه عن ديون التاجر الأسباني، وأوضح له بأنه قد دفع ما عليه من ديون لباي معسكر (وهران) ولم يبق في ذمته سوى عشرة آلاف قرش أرسلها فعلا من أسبانيا، ولكن هذا التاجر له دين على باي معسكر ترتب عن بضائع اشتراها وأرسلها له من قادس بأسبانيا وذكر له بأن موضوع التجارة الأسبانية بوهران سوف يحدثه عنه القنصل الأسباني الجديد عندما يصل إلى هناك ورجاه ألا يتعجل في اتخاذ قرار قبل ذلك حفاظا على العلاقات الطيبة بين البلدين[2].

ويبدو أن المفاوضات حول هذا الموضوع لم تثمر لأن الجزائر كانت تنظر بحذر على الدوام، لنوايا الأسبان، ولذلك عملت بسرعة على التخلص من تلك الشروط، ووضعت حدا لكل الامتيازات الأسبانية، وفي ذلك خير وبركة على أمن البلاد ومستقبلها السياسي والعسكري والاقتصادي.

الباي عثمان ابن محمد بن عثمان الكبير:

تولى حكم بايليك الغرب عام 1799م (1246 هـ) بعد وفاة أبيه بأيام قلائل. وكان على عكس أبيه، يميل إلى حياة اللهو والمجون، فنقل مقر حكمه من البرج الأحمر إلى القصبة شمال حي الساحة الأسبانية على الضفة اليسرى لوادي الرحى. واهتم ببناء وتشييد بعض المعالم العمرانية كالدور، والقصور، وقنوات المياه. كما اهتم بغرس أشجار الفواكه، والورود، في الحدائق والبساتين، وبإيصال المياه عبر القنوات إلى بعض الأحياء.

واعتكف في داره مع بعض خواصه على اللهو والمجون، ومجالس الغناء والرقص، وبعث إلى تونس من اشترى له جاريتين ليلهو بهما ويبالغ في مجونه، وأهمل شؤون الحكم والإدارة، وتركهما لكبار موظفيه فعبثوا بمصالح الناس

(1) A. H. N. de Madrid, seccion de Estado, Legajo 3615, correspondancia de Los Dayes.

(2) A. H. N. de Madrid, seccion de Estado, Legajo 3615, correspondancia de Los Dayes.

واتخذوا ذلك وسيلة للإثراء، والتسلط على رقاب الغير. فضج الناس وغضبوا، ووصلت أخباره إلى الباشا فغضب عليه، وعزله في الحين، وأمر بإغلاق داره وتشميعها، وأخذ هو مقيدا بالأغلال صحبة أهله وأولاده إلى مدينة البليدة عام 1802م وأبقي هناك في شبه إقامة جبرية مدة عامين كاملين ثم عينه الباشا على بايليك قسنطينة فانتقل إليها ليواجه ثورة ابن الأحرش الدرقاوي، وليقتل على يديه في وادي زهور شمال قسنطينة.

الباي مصطفى ابن عبد الله العجمي المنزالي وثورة درقاوة:

تولى الباي مصطفى المنزالي بايليك الغرب عام 1802م (1215هـ) على إثر عزل الباي عثمان، وكان كسلفه ضعيف الشخصية عديم الإرادة، قليل الحيوية، ويبدو أن سلفه الباي عثمان خلف له تركة ثقيلة خاصة جهاز الإدارة الذي تسرب إليه مرتشون. ثم واجهته ثورة الدرقاويين فتعقدت عليه الأمور وصعبت، وتعرض لهزيمة ساحقة أمامهم في أول صدام معهم في جهات أنقاد، ورثته نوعا من الإذلال والاحتقار. وتعرض المخزن نفسه إلى الامتهان من طرف الطبقات الشعبية بعد أن ناله ما ناه من الهزيمة والهوان[1].

زعيم ثورة درقاوة:

زعيم ثورة الدرقاويين بالغرب الجزائري هو عبد القادر ابن الشريف من أولاد سيدي بليل الكساني الذي يقطن بواد العبد في حوض الشلف، أخذ الطريقة الدرقاوية على الشيخ محمد العربي ابن أحمد البوبريجي الدرقاوي في بني زروال بالمغرب الأقصى.

وخلال إقامته عنده زعم لشيخه بان الأتراك بالجزائر كفار لا يصومون ولا يصلون ولا يقومون بأمور الدين ولا يعلمون بمبادئ الإسلام. ويظلمون الناس ويحتقرونهم، ويهينون العلماء والأولياء. وصورهم له في صورة كفار مارقين، أنذال ظلمة. وطلب منه الإذن ليحاربهم ويقاتلهم فصدقه في أقواله وأذن له في إعلان الحرب عليهم بكل الوسائل، فعاد إلى الجزائر وكله حماس لذلك العمل، وأخذ يجند الناس خاصة في المناطق الصحراوية، والهضاب العليا، كالأحرار مثلا.

(1) أنيس الغريب، ص: 65 - 70. دليل الحيران، ص: 130 - 160.

وعندما سمع به وباستعداداته، الباي مصطفى جند قوات كبيرة واتجه إليه في حوض الشلف، واصطدام معه في معركة كبيرة بمكان يعرف بفرطاسة بين واد مينا، وواد العبد. وتعرض لهزيمة شنيعة، وأخذ له الدرقاوي محلته بما فيها من الرجال والمؤن، والذخيرة، وفر هو إلى معسكر، عام 1804م (8 ربيع الأول 1219هـ)، ومنها إلى وهران مهموما ومغموما ومذلولا، فهون عليه أصحابه المصيبة وشجعوه على استرجاع انفاسه، فحصن المدينة وأخذ يستعد للأحداث المقبلة مع الدرقاوي وجموعه.

أما الدرقاوي فبعد انتصاره الساحق بفرطاسة، أخذ طريقه إلى غريس ثم إلى مدينة معسكر التي اقتحمها وأخضعها لسلطته بعد أن تغلب على حسن خليفة الباي، وجمع بها أهله، وأولاده، وخاصته، واتخذها شبه مقر وعاصمة له ولاحق حسن خليفة الباي مصطفى، إلى بلاد أمجاهر، وشتت جموعه، وأخذ بعد ذلك طريقه إلى وهران نفسها على أمل السيطرة عليها فمر بمدينة سيق وأخضع سكانها بالقوة إليه وأوقع بسكان غيط قيزة الذين حاولوا أن يقاوموه، فقتل وسبى منهم خلقا كثيرا وأحدث مجزرة كبيرة أشتد فيها النواح حتى عرف ذلك المكان "بشعبة النواح" كما ذكر ذلك صاحب دليل الحيران.

ولما كان الوقت فصل الحصاد، وكان هذا الدرقاوي لا يتورع في ارتكاب أبشع الجرائم، فقد سالمه الناس في طريقه وهادنوه حتى تسلم محصولاتهم الزراعية، ويسلم حصادهم. ومع ذلك فإنه أحرق زرع مزارع البايليك وأفسد حقوله. وعندما وصل إلى وهران كان يتصور أنه سينتصر بسهولة اعتمادا على تجربته بفرطاسة، ومعسكر، ولكنه خاب أمله، لأن سكان وهران استبسلوا في الدفاع والمقاومة على مدينتهم، وردوه على أعقابه مهزوما وسقط في أيديه.

وخلال هذه الأحداث حول مدينة وهران وصل أسطول الباشا من الجزائر العاصمة ومعه وثيقة بعزل الباي مصطفى، وتعيين باي جديد على البايليك عام 1805م هو محمد المقلش[1].

(1) Adrien Delpech: Résumé historique sur le soulèvement des Derkaoua de la province d'Oran d'après le cronique d'el Mousselem Ben Monamed Bach Delfter du Bey Hassan du 1800 à 1815. R. A. F. (Alger, 1874) pp. 38 et T. XX p. 41.

الباي محمد بن محمد بن عثمان المقلش:

الباي محمد المقلش هو شقيق الباي عثمان الذي عزل عن البايليك عام 1802م ورحل مع أخيه المعزول إلى مدينة البليدة واستقر بها مع أسرته. وفي عام 1805م (1220 هـ) عينه الباشا بايا على بايليك الغرب خلفا للباي مصطفى المنزالي الذي عجز عن مقاومة الدرقاوي وجموعه. وكان عمره حوالي 18 عاما. فقدم إلى وهران بحرا، وقام بفك الحصار عنها ممن بقي من الدرقاويين، ووفر الأمن والهدوء للسكان، وساعدهم على التزود بالمؤن والأغذية، ففرحوا به واستبشروا وتوقعوا خيرا خاصة فيما يتصل بأحداث الدرقاويين.

أما الدرقاوي، فبعد أن فشل في اقتحام وهران تعرض لأزمة حادة مع شيخه محمد العربي الدرقاوي الذي حضر بنفسه حصار وهران، وتبرأ منه بعد أن اكتشف كذبه عليه وتزويره لأشياء ضد الحكام الأتراك اختلقها وابتدعها من خياله لا أساس لها من الصحة والواقع، ومنها ادعاؤه بأنهم كفار لا يصومون ولا يصلون بينما شاهد هو عكس ذلك، وسمع بنفسه الأذان عند الفجر وفي أوقات الصلاة الأخرى، وشاهد الناس يتوجهون إلى الصلاة.

ولهذا تبرأ منه وغادره وقال له هذا فراق بيني وبينك.

وكانت براءة شيخه منه سببا في تدهور موقفه فغادر أحواز وهران إلى معسكر، وحاربه هناك البرجية وهزموه، وقتلوا وسبوا له جموعا كبيرة، وعندما حاول الدخول إلى معسكر حيث أهله وخاصته، منع من ذلك، وقام السكان بإخراج الحاج محمد بلحضري بن اسماعيل البحثاوي من السجن، وعينوه حاكما عليهم وعلى مدينهم وسلموا إليه أهل الدرقاوي وخاصته فقتل البعض واعتبر الباقي أسرى لديه، وجرح عددا آخر وقام بإرسال الجميع إلى الباي المقلش كما رغب وكما أمر، فوجههم هو في الحال إلى الباشا بالجزائر عن طريق البحر بواسطة الأسطول الذي حمله إلى وهران كما مر.

وبعد هذا خرج الباي المقلش بنفسه لمحاربة الدرقاوي فقصد مدينة معسكر وأقام لدى البرجية أياما يستعلم عن الدرقاوي وظروفه وأوضاعه وقواته، وبلغه عنه أنه جمع قوات كبيرة من قبائل الصحراء، وتواطأ معه بنو عامر، وامجاهر، فاحتار في الأمر وجمع كبار قادته، وساورهم فتفرقت كلمتهم شتى، ثم اتفقوا على

الإستعداد لمواجهته ومحاربته هو ومن تواطأ معه من الأعراش.

وتكمن البرجية والحشم من هزيمته في عدة معارك وزحف، المخازنية على عرب امجاهر وشتتوا جموعهم كذلك ولحق بهم الباي إلى هناك، وزاد في الفتك بهم خاصة بجهات واد مينا، وواد المالح، في حوض الشلف.

وعلم هناك بأن الدرقاوي جمع جموعا أخرى ليجدد الكرة ضده، فاتجه إليه وهاجمه وشتت جموعه، وتتبع فلوله إلى سيدي محمد بن عودة، وأوقع بها وحز جنوده رؤوس القتلى وأرسلوها كبشارة إلى معسكر، ولحق بها الباي بعد أيام إلى هناك.

وبعد عدة أسابيع من هذه الأحداث جمع نائب وخليفة الدرقاوي جموعا أخرى في بني مرياتن، فعلم الباي بالخبر، وخرج بنفسه إليه وهزمه وانتقل من هناك إلى أولاد سليمان ببني عامر، ثم إلى المبطوح، وثنية ماخوخ، لملاحقة العصاة والفتك بهم.

فاجتمع بنو عامر بالدرقاوي في بلد أولاد الزاير لمواجهة قوات الباي، فأسرع إليهم ومر بتسالة، ثم انتقل إلى واد الحد بأولاد الزاير، وهاجم الدرقاوي وجموعه من بني عامر، وقتل معظمهم ولم ينج إلا من فر بنفسه إلى ولهاصة وطرارة وغيرهما، وفر الدرقاوي إلى اليعقوبية، وبلغ عدد القتلى خلال هذه المعارك حوالي 600 شخصا.

وفي نهاية هذه المعارك اتجه الباي بقواته إلى تلمسان، واصلح ما بين أهل الحضر والكراغلة من مشاكل وخلافات، ومن هناك عاد إلى وهران فرحا مسرورا بانتصاراته على خصومه وأعداء البايليك. ولم يمض شهر حتى سمع بالدرقاوي يجمع جموعه مرة أخرى فتوجه إليه وشتت شمله، وفتك أنصاره من بني عامر الذين اضطروا أن يتوزعوا ويتشتتوا في جهات كثيرة حتى إلى المغرب الأقصى. وبعد ذلك اتجه إلى بلاد امجاهر وعاقبهم على خيانتهم السابقة له بواد الرمان. وأوقع بهم وبالدرقاوي الذي أنجدهم، هزيمة شنيعة، ثم عاد إلى وهران ليستريح ويستعد.

وبينما هو يقوم بجولة تفقدية للمناطق الشرقية من البايليك، بلغه أن الدرقاوي يستعد ليزحف على مدينة معسكر باتباعه وأنصاره بعد أن التحق به ابن

الأحرش الدرقاوي زعيم الثورة الدرقاوية ببايليك قسنطينة. فاتجه إلى معسكر وقسم جيشه إلى قلب وميمنة وميسرة. واصطدم بالدرقاويين في معركة مهولة، وكان النصر له ولجيشه وأنصاره. فعاد مزهوا إلى وهران.

ولم يسترح حتى علم بأن الدرقاوي قد جمع جموعا أخرى في جديوية بحوض الشلف فخرج إليه دون إمهال، وهاجمه ودحره، وقتل له معظم أنصاره واتباعه الذين زاد عدد قتلاهم عن الألف رجل، واستولى على محلة الدرقاوي بكاملها ورجع بها إلى وهران ليصله الخبر بأنه جمع جموعا أخرى في وادي التافنة بالناحية الغربية يعضده في عمله ابن الأحرش. فخرج إليهم في الحين وهاجمهم وقتل وجرح عددا كبيرا منهم، واستولى على محلتهم، واضطر الدرقاوي وابن الأحرش إلى الفرار لينجوا بنفسيهما. وعاد بعد ذلك إلى وهران، فعاد الدرقاوي إلى استعداداته وتجمعاته بشرق البايليك. وجمع أعداداً من الأنصار بواد العبد في الشلف. فخرج إليه الباي مرة أخرى وللمرة الأخيرة. وخاض ضده عدة معارك، ونال منه ومن قواته قبل أن يعود إلى وهران.

نهاية المقلش:

لقد كانت ثورة الدرقاوي ببايليك الغرب عبئا ثقيلا على بايات الغرب، وعلى رأسهم محمد المقلش الذي بذل جهودا محترمة في مقاومتها بما تستحق من الجهاد والقتال، والزجر. وكان من المفروض أن تكون نهايته حسنة ومشكورة، غير أن باشوات الجزائر لم يكونوا يدركون تماما أخطارها الحقيقية. ولم يقدروا جهود المقلش في مواجهتها وكانت الأقدار تخبئ له نهاية مخزنة [1].

فقد قتله باشا الجزائر شر قتلة بسبب حادث بسيط لا يستأهل ذلك، وهو أنه عندما وجه إلى مدينة الجزائر الأموال والغنائم، لم يجد العدد الكافي من البغال فاستعمل الأبقار في حملها، واستنكر الباشا عليه ذلك وأمر بقتله عام 1807م. ووضع حدا لحياته بهذا الشكل وهذا الأسلوب القذر.

(1) انظر: أنيس الغريب، ص: 76 - 96.

الباي مصطفى بن عبد الله المنزالي:

بعد مقتل الباي المقلش عين الباي مصطفى المنزالي في مكانه، وذلك للمرة الثانية، وواجه هو الآخر ثورة الدرقاوي التي أصبحت بمثابة مرض مزمن في البايليك. وقد حاربه بالثعالبة في فليته، ثم في مدغوسة، ونال منه ومن اتباعه وقتل له المزيد من أنصاره واتباعه، فانقطعت أخباره مدة من الزمن. ثم سعى عرش مجاهر في إحياء حركته وراودوه وداخلوه، فاتجه إليه وإليهم الباي مصطفى المنزالي، ووجدهم محتشدين في واد الخير أحد فروع الشلف، وقبل ان يصطدم بهم وصله الخبر بأنه عين خزناجيا بمدينة الجزائر، فواصل سيره إليها، وترك الدرقاوي لشأنه إلى حين، كما ترك بايليك وهران لغيره [1].

الباي محمد الركيد بن عثمان بوكابوس والمسلوخ:

تولى محمد بن عثمان بوكابوس بايليك الغرب عام 1807م (أخر عام 1222 هـ) بعد مغادرة الباي مصطفى المنزالي له للإتحاق بمنصبه الجديد خزناجيا بالجزائر العاصمة. واشتغل بمقاومة الدرقاوي واتباعه الذين أقلقوا أمن البايليك سنوات طويلة. ونجح في وضع حد لنشاطه بفضل الحزم والشدة اللذين أبداهما واستعملهما ضده وضد المؤيدين له، بحيث كان يقتل ولو بالشبهة كل من ينتسب إليهم أو تحوم الشبهة حولهم. وعندما حاول اليعقوبيين ان يأووا ويحموا الدرقاوي، اتجه إليهم وشتت شملهم، وأخذ يبحث عن ملجأ له، ورفض الجميع إيواءه في الأغواط، وعين ماضي ولدي الأحرار، فاتجه إلى بني يزناسن واستقر لدى أصهاره وقبلوه بعد أن كف عن كل ادعاء له.

ونظرا للكفاءة والمقدرة التي أبداها الباي محمد بوكابوس في مقاومة الدرقاوي وجموعه. والنجاح الذي حصل عليه، كلفه الباي بالإتجاه إلى برج حمزة (البويرة). لمقاومة حركة عرش عريب. ووضع حد لعصيانهم فإتجه إلى هناك بقواته ونجح في القضاء على حركة العصيان وأدب زعماء الفتنة، وقبض على عدد منهم كرهائن، وفي طريق عودته إلى المدية بالتيطري تعرض له أولاد علان وأرادوا ان

(1) عن ثورة درقاوة يمكن العودة إلى مقال دوليبش السابق في المجلة الإفريقية. وإلى كتاب دليل الحيران، ص: 206 - 245. وأنيس الغريب، ص: 71 - 98.

يلحقوا الأذى بقواته فأدبهم وقبض على عدد منهم أخذهم معه إلى المدية. ومن هناك أرسلهم إلى الجزائر العاصمة، وعاد هو إلى وهران مزهوا بالنتائج التي تحصل عليها.

وقد بلغه وهو بوهران، ان الدرقاوي يقيم لدى صهره الشيخ أبي ترفاس بالبيدر في بني يزناسن، فرأى أن يخرج إليه ويبادره قبل ان يستجمع قواه، وفعلا ذهب إلى البيدر وقام بتخريب قرية وزاوية الشيخ أبي ترفاس، ولكنه لم يتمكن من الدرقاوي الذي فر وأفلت من قبضته. غير أنه لم تبق له قوة وطاقة للحركة كما كان في السابق وصار لا يبحث إلا على ملجأ آمن له ولمن معه من الأهل والولد.

وبعد أن انتهى الباي محمد بوكابوس من هذه العملية، عرج على تلمسان وأقام بها أياما ثم عاد إلى وهران ليجد في انتظاره مهمة أخرى سوف تكون القاضية على حياته في خاتمة أليمة ومؤسفة.

فلقد قامت الحرب بين الجزائر وتونس، وطلب إليه الباشا بأن يجمع قواته ويتجه إلى هناك للمشاركة في تلك الحرب. فأعد عدته وغادر وهران في اتجاه الشرق وعندما وصل إلى يلل غير رأيه وظهر له أن يشق عصا الطاعة ويتمرد على الباشا، ويعلن بيعته لسلطان المغرب الأقصى سليمان بن محمد بن عبد الله. فبادر أولا إلى قتل كل الأتراك الذين كانوا بصحبته حتى أصهاره واقاربه، ولم ينج إلا من فر بنفسه. ثم طلب من بني عامر أن يقتلوا الأتراك الذين يوجدون ضمن المحلة التي توجد لديهم.

وبعد ذلك كر عائدا إلى وهران بتشجيع من بعض رجال المخزن كانوا معه ولم يكونوا راضين على عمله، وكان قصدهم ان يستدرجوه إليها حتى يقبضوا عليه، ولم يتفطن إلى ذلك إلا بعد أن وصل إلى وهران. وعندما سمع صهره وخليفته علي قارة باغلي بفعلته هذه فر بمن معه من الاتراك إلى مازونة. وغضب باشا الجزائر على ما أقدم عليه وأرسل أسطولا بحريا إلى وهران بقيادة الآغا عمر ليستجلي خفايا القضية ويطلع على حقيقة الأمر.

وزوده بقفطان التولية لباي جديد للبايليك هو علي قارة باغلي. وعندما وصل بوكابوس إلى وهران اعتصم بها وأغلق أبوابها، وهدد بنسفها إذا حاول أحد أن يقتحمها أو يقتحم داره بعد أن علم بنية رجال المخزن ضده. وشاهد أسطول الباشا

بالميناء. فتخوف الناس وفر البعض منهم متسللين على الأسوار، والمسارب. وحاول رجال المخزن أن يقنعوه بتسليم نفسه فرفض، وذهب إليه علماء المدينة ليجربوا حظهم، وبأيديهم مصاحف القرآن الكريم، ونسخ من كتاب البخاري في الحديث، فنصحوه ووعظوه ورجوه أن يحقن الدماء ويسلم بقضاء الله وقدره، فلانت قناته وعاد إليه هدوءه، وفتح لهم الباب، وأذن لهم بالدخول وطلب منهم أن يقيدوه ويعتقلوه فرفضوا وقالوا له هذه مهمة المخزن وليست مهمتنا نحن، فأذن لرؤساء المخزن بالدخول إليه فجاؤوا ودخلوا وقيدوه وأخرجوه من قصره وأخذوه إلى السجن، وبعثوا إلى الآغا عمر قائد الأسطول وجنوده بأن ينزلوا من السفن ويدخلوا إلى المدينة، كما بعثوا إلى علي قارة باغلي واستقدموه من مازونة ليستلم منصبه فجاء على عجل ليحضر نهاية صهره وخاتمة أعماله المؤلمة [1].

الباي علي قارة باغلي:

أصله على ما قيل، من قرية باغله، بشبه آسيا الصغرى التركية، وحضر إلى الجزائر صغيرا، وقدم إلى وهران مع الباي محمد بن عثمان الكبير، وتقلد في مناصب عديدة، فاكتشف نبوغه وقربه إليه. وبعد تمرد بوكابوس كان هو خليفته على مدينة وهران، ففر بمن معه من الأتراك إلى مازونة، ورأى الباشا أن يسند إليه منصب بايليك الغرب.

وبعث له قفطان التوالية مع قائد الأسطول الآغا عمر. فعاد إلى وهران من مازونة وتسلم منصبه، وقبض على بوكابوس وأودعه السجن. ثم خرج مع الآغا عمر ليتفقد أحوال الرعية في الناحية الغربية، وذهب إلى جبال طرارة شمال تلمسان بعد أن علم أن ابن الأحرش الدرقاوي يتردد عليها، وله منزل بها يستقر به فأرشده الناس إليه وقام بتهديمه وتخريبه، ومعاقبة من كان يساعده.

ومن طرارة اتجه إلى تاجرة، ثم إلى تلمسان نفسها، فبلاد الحشم، فمدينة معسكر، ثم عاد إلى وهران، وقام الآغا عمر بإخراج بوكاوبس من معتقله، وعذبه عذابا شديدا، وسلخ جلد رأسه وهو حي، وملأه بالقطن وأرسله إلى الجزائر العاصمة حيث علق على عمود طويل عدة أيام، ثم نفذ الآغا عمر القتل في

(1) انظر: أنيس الغريب، ص: 97 - 106. دليل الحيران، ص: 160 - 180.

بوكابوس وجميع أولاده الصغار بكل وحشية عام 1812، وهي السنة التي تولى فيها علي قارة باغلي منصب بايليك الغرب خلفا له.

وقد بذل باغلي جهودا كبيرة لإصلاح أوضاع البايليك السياسية، والإدارية، والإجتماعية. وقام بحركة إلى بني مناد في ضواحي شرشال ونكب بهم بسبب حركة العصيان التي قاموا بها، وهو أمر غامض لأن منطقة شرشال تدخل في نطاق اختصاص باشا الجزائر وباي التيطري.

وقد ظهر الدرقاوي مرة أخرى في بني يزناسن، وقدم إلى الأحرار في جبال الونشريس والهضاب العليا، وطلب منهم العون والتأييد والمساندة فلبى البعض منهم رغبته، فقرر الباي علي قارة الذهاب إليه وقصد واد مينا، وضم إليه هنـاك محلة الطريق، وطلب من سكان المنطقة أن يكونوا يقظين، ويجندوا له الرجال. ويستعلموا عن رجال الدرقاوي ففعلوا، واقتحم بلاد الأحرار، وشتت شملهم، وأفسد زرعهم وحقولهم، واضطر الدرقاوي ان يفر بنفسه، ويختفي عن الانظار.

وبعد هذه الأحداث عاد الباي باغلي إلى وهران ليواجه هو الآخر امرا صعبا سينتهي بعزله على غرار صهره بوكابوس. فقد أرسل إليه باشا الجزائر عددا من الأتراك من رفاق وأتباع عمر باشا، وأوحى إليه أن يتخلص منهم بالقتل، غير أن هؤلاء الأتراك اكتشفوا الخدعة والمؤامرة ففروا من وهران، والتحقوا بمحلة الشتاء التي كانت تقيم بالهبرة لينجوا بأنفسهم ويظهر أن لهم أنصارا وأصحابا بها.

وعندما علم الباشا بفرارهم اتهم الباي باغلي بأنه هو الذي أوحى لهم بذبك وشجعهم. وحقد عليه وأضمر ذلك في نفسه. وعندما حمل الباي باغلي الدنوش إلى مدينة الجزائر أرسل له الباشا من اعترضه في الطريق قبل وصوله وقتله في المكان الذي يعرف بالمشرع أسفل مدينة مليانة وعين مكانه الباي حسن وذلك عام 1817م[1].

الباي الباهي حسن:

كان الباي حسن طباخا لحوالي أربعين جنديا من الأتراك. ويلقب بالباهي، ثم أصبح يبيع التبغ في متجر خاص بجوار مسجد الباشا أسفل القصر الأحمر.

(1) دليل الحيران، ص: 180 - 190. وأنيس الغريب، ص: 106 - 112.

وتولى منصب قائد فليته مدة من الزمن. وعندما حمل الباي قارة الدنوش إلى عاصمة الجزائر صحبه معه، وحضر عملية عزله وقتله بالمشرع أسفل مليانة، وحمل الدنوش وأوصلها إلى الباشا بالجزائر، ثم عاد إلى وهران ولبس قفطان التولية في منتصف ذي الحجة 1232هـ 1817م. وسلك في بداية أمره سياسة اللين والرفق. وعين حسن خوجة كاتبا له، وقرب إليه العلماء والفضلاء، ثم غير سلوكه وأصبح لا يبحث إلا على الثراء والجاه واعتدى على الكثير من العلماء كما سيأتي، وقام بعدة أعمال عادت على البايليك بالسوء.

ففي عام 1825م (1241 هـ) قام بغزو عين ماضي، وهجم على الشيخ أحمد بن سالم التيجاني الذي اتهمه بأنه يعد للقيام بثورة على غرار ثورة عبد القادر بن الشريف الدرقاوي، وحاصره شهرا كاملا ثم أبرم معه صلحا ينص على أن يدفع له عشرين ألف ريال نقدا، و500 ريالا كل سنة، وعاد إلى وهران. فتألم التيجاني من هذا الظلم، وأعد عدته للإنتقام وكاتب أهل الحشم بمعسكر، والأعراش الأخرى ليساعدوه في عمله.

وعندما علم الباي حسن بأخبار استعداداته، وتآمر الحشم معه وكان بالحناية في طريقه إلى تلمسان لتفقد الأمور، جمع ما عنده من الأتباع واتجه إلى معسكر. واستدعى اثني عشر من زعماء الحشم لطعام أعده، فغدر بهم على المائدة وقطع رؤوس أحد عشر منهم ولم يبال بمن أنكر عليه فعلته تلك من رجال المخزن، ولم يكتف بهذا ففرض على الحشم ضريبة خاصة وأرسل اثنين من قادته لاستخلاصها فقتلهما الحشم وأرسلوا برأسيهما إلى التيجاني. وهو ما كان يريده لهما، ثم قفل راجعا إلى وهران.

وقد غضب الحشم كثيرا على هذا الغدر الذي لحقهم من الباي، وكاتبوا التيجاني، وحثوه على القدوم إليهم ووعدوه بأن يتجندوا معه لمحاربة الباي حسن، فاستعد هو الآخر للانتقام مما حصل له ولأتباعه في عين ماضي. وجمع حوالي 600 رجلا من عين ماضي وعددا آخر من العرب واليعقوبيين بالأغواط، وقادهم إلى مدينة معسكر، وكاتب الحشم وبني شقران، وبني عامر، والبرجية، والغرابة، والزمالة، والدواير، وسائر سكان النواحي الغربية والشرقية وطلب منهم العون والتأييد، فأجاب البعض وتمهل آخرون.

وعندما وصل إلى غريس في خريف عام 1827م (1242 هـ)، نزل بفروحه وأطاعه الحشم، فتقدم إلى معسكر، وتوجه إلى الحومة الغربية، فحاربه سكانها ومات من الطرفين خلق كثير، ثم أعلن سكان باقي الأحياء طاعتهم حتى يتجنبوا ما حصل لسكان الحومة الغربية، وانتقل التيجاني بعد ذلك إلى خصيبية على الحومة القبلية. وأخذ يهدد ويراود الممتنعين عنه في قلب المدينة.

أما الباي حسن فقد خرج من وهران بعد أن علم بالخبر، ومر على الكرمة، وتليلات وسيق، ومشرع حسين، وأعد السير إلى معسكر، وعندما وصل إلى خصيبية، وجد مع التيجاني خلقا كثيرا، فتخوف وهالة الموقف، ولكن أصحابه هونوا عليه الأمر، فالتحم الطرفان في معركة كبيرة ومهولة بمكان يدعى عواجه بأولاد رحو، ويقال بأن الباي رشا الحشم واشتراهم بالمال، فتخلوا عن التيجاني الذي دارت عليه الدائرة وقتل هو ومعظم رجاله في موضع يقال له السمار انسحب إليه بعد صدام عواجه. فحز رجال الباي رأسه ورأس كبار رجاله، وأرسلوها إلى مدينة معسكر، ولحق بهم ومن يومئذ أصبح يحقد على العلماء ويوقع بهم ويقتلهم. فممن قتلهم:

الحاج محمد البوشيخي الذي علقه على خشبة في وهران أياما.

والشيخ ابن عبد الله بن حواء التيجاني شيخ درقاوة، والشيخ فرقان الفليتي اللذان دفنا في قبر واحد بمقبرة سيدي البشير في حي الهضبة بوهران.

والشيخ بلقندوز القداري بزاويته في واد مينا.

وقام بمنع الشيخ محي الدين والد الأمير عبد القادر من الذهاب إلى الحجاز، لأداء فريضة الحج، وحجزه عدة سنوات بوهران.

وكاد يقتل الشيخ بن عبد الله البوشيخي المعروف بالشيخ ابن سحنون، والشيخ ابراهيم الخروطي. بقي الباي حسن في منصبه على رأس بايليك الغرب بمدينة وهران حتى احتل الفرنسيون مدينة الجزائر عام 1830، وزحفوا بحرا على وهران آخر ذلك العام فسلمها لهم دون قتال يوم 4 جانفي 1831 ورحلوه إلى مدينة الإسكندرية، أي توفي هناك هو والداي حسين كذلك[1].

(1) أنيس الغريب، ص: 112 - 114. دليل الحيران، ص: 200 - 254.

وعاد الاحتلال الاوروبي المسيحي إليها مرة أخرى ولمدة قرن وواحد وثلاثين عاما أخرى. فزاد في مسخ وطمس معالمها الحضارية: التاريخية، والمعمارية، والثقافية، وغيرها.

القسم الثاني

وهران القديمة وقلاعها وأبراجها الحديثة

وهران القديمة وبعض آثارها:

تقع وهران القديمة على السفح الشرقي لجبل المايدة، او مرجاجو (سيدي هيدور) في حوض واد الرحى، الذي أشتهر برحاواته الكثيرة التي أقيمت عليه، والذي عرف كذلك بواد رأس العين، لوجود عيون جارية فيه خاصة المنابع العليا منه، وهو يمتد من الجنوب الى الشمال حيث ينصب في البحر، وتقع أحياء وهران القديمة على حافته الغربية في حين تقع بعض القلع، والحصون، والأسوار، على حافته الشرقية.

وشكل المدينة القديم، مثلث غير منتظم، قاعدته العريضة، والمقوسة، تشرف على البحر شمالا، وزاويته الحادة، لدى برج رأس العين جنوبا، وزاويته الشرقية برج عين محال، أو البرج الأحمر، وزاويته الغربية برج المونة أو اليهوى.

ويقع في الضفة الغربية للوادي: حي القصبة القديم بأبراجه، وقلاعه، ومساكنه العتيقة، وحب لابلانسا الأسباني، وحي البحرية، وبرج المونة، وبرج الجبل، وبرج حسن بن زهوة، وبرج الحميري، وطبابة كامبانة، وقرية إفري القديمة.

وفي الضفة الشرقية للوادي: يقع برج الأمحال، وبرج الصبايحية، وبرج رأس العين، وقرية القلايعية، ودرب اليهود، ومدينة المنجلين التي أسست في مكانها مدينة السود أو المدينة الجديدة في 20 جانفي 1845، وقرية خنق النطاح التي الحقت ببلدية وهران في 31 ديسمبر 1856م.

وإلى الشمال يوجد برج المونة (برج اليهود) وبرج القديسة تيريز، ومجموعة من الطبانات، والحصون الصغيرة، للمراقبة والدفاع، تحميها كلها الأبراج الكبرى العالية وهي: برج الجبل، وبرج الحسن، والبرج الأحمر.

ويتصل حي القصبة، وحي البحرية ولا بلانسا: في الضفة الغربية لواد الرحى بالبرج الأحمر، وباقي الحصون الأخرى في الضفة الشرقية، بواسطة جسرين اثنين: واحد قرب باب البليل الذي يعرف كذلك بباب الواد، وباب تلمسان، والثاني قرب باب كانستيل المجاور لشارع الترك الذي كان يسمى شارع كانستيل، ثم شارع فيليب.

وهناك أنفاق كثيرة تحت الأرض تربط الأحياء، والقلاع، والأبراج، ببعضها

البعض في الضفتين: الشرقية والغربية، لتسهيل التموين، والنجدة، في اوقات الخطر، ما يزال البعض منها قائما حتى اليوم كما هو الحال بين برج رأس العين، وبرج سان كارلوس (بوبنيقة)، وبرج سان فيرناندو، فبرج الجبل، وبرج حسن يتصلان بحي لابلانسا بواسطة نفقين اثنين، والقصر الأحمر يتصل ببرج الصبايحية، وبرج رأس العيون بواسطة نفق خاص تحت الأرض. وما تزال حتى اليوم نقطة التقاء هذه الأنفاق شرق واد الرحى في مواجهة حي القصبة.

ويوجد إلى الشرق من برج الأمحال (البرج الأحمر) وبرج الصبايحية، مجرى مائي يعرف بواد عين روينة، ووراءه إلى الشروق، والجنوب، توجد أراضي واسعة ومنبسطة، باعها محمد الكبير بأسعار بخسة لقبائل الدواير، والزمالة، وبعض زعماء العائلات الأخرى الذين قدموا من المدية، ومليانة، والشلف، ووجدة، وفاس، فخططوها، وبنوا بها منازلهم، فظهرت إلى الوجود قرية القلايعية، وقرية خنق النطاح، التي سميت بهذا الإسم لأن مكانها كان مجالا لتناطح الأبقار بقرونهم، وبين القريتين تقع المجزرة، وسوق الجزارة، والمقبرة الإسلامية، ومقبرة اليهود، وبيعتهم[1].

كانت مدينة وهران غداة الاحتلال الفرنسي لها يوم 4 جانفي 1831م، تمتد على مساحة 72 هكتار، حسب معلومات دوريان، وبييس، وسيقي، وهو تقدير أقل من الواقع على ما يبدو، لأنه من الصعب أن تتسع، وتتضاعف مساحتها خمس مرات في ظرف تسع سنوات بعد ذلك لتصبح 420 هكتار عام 1845م. ويحيط بها سور من معظم جهاتها تقريبا، ما عدا جرف الجبل، من الزاوية الشمالية الغربية، ومجموعة من الأبواب، والقلع، والحصون، والطابانات.

أما السور: فيبدأ من شمال غرب القصبة على جرف الجبل ابتداء من باب المرسى، ويمتد بصفة متعرجة غرب القصبة، وجنوبها إلى باب الواد عند واد الرحى، ثمّ عندما يقطع الوادي إلى الضفة الشرقية ويصعد شرقا إلى نهاية حافة المنحدر، وبعد ذلك يتحول إلى الجنوب على طول الحافة، ويمر على برج الصبايحية، وبرج العيون، ثمّ يلتف حول البرج الأخير، ويتحول إلى الناحية الشمالية في خط شبه مواز للأول، ويمر بشرق برج العيون، وبرج الصبايحية، ويتصل ببرج

(1) Derien: pp. 98 - 41..

الامحال لدى باب السوق، ويلف ببرج الامحال من الشرق والشمال على مشاريف البحر، ويتجه نحو الغرب ليتصل بمجرى واد الرحى لدى باب عمارة.

وما تزال حتى اليوم أجزاء وبقايا من السور العملاق، غرب القصبة على حرف الجبل، وجنوبها إبتداءا من باب المرسى، إلى باب الواد، وعلى طول الحافة الشرقية لواد الرحى غرب برج العيون، وبرج الصبايحية، وحي درب اليهود، وعرضه حوالي مرتين ونصفا 2.557 م، وقد وصفه ليون في كتابه، ونقل عنه كل من بييس، ودوريان[1].

وأما الأبواب: فهناك أكثر من ستة أبواب منها:

في الشرق: بابان:

- **باب السوق:** جنوب شرق البرج الأحمر، بجوار النادي العسكري حاليا، وسماه الفرنسيون: باب نابليون، ويطل شرقا على مجرى عين واد روينة، ويؤدي إلى خنق النطاح، وكاناستيل، وأرزيو، وتم تأسيسه حوالي عام 1740 تقريبا.
- **باب الجيارة:** شمال برج الصبايحية، وجنوب غرب منابع واد روينة، قرب مسجد البرانية الذي حوله الفرنسيون إلى كنيسة بجوار مدرسة عبان رمضان الحالية، ويؤدي إلى طريق تلمسان ومعسكر، وسيدي بلعباس، وما يزال مكانه حتى اليوم يدعى باب الجيارة كما لا يزال الباب الأثري قائما تحت أيدي الجيش الشعبي الوطني.

في الجنوب:

باب البليل: أو باب الواد: علة حافة واد الرحى الغربية جنوب شرق القصبة. وما تزال آثاره حتى اليوم قائمة. ووضعت على حافته لافتة.

وقد أخذ اسمه من عين مجاورة له، وسماه الأسبان: Rasserio de la Barera وسماه الفرنسيون باب تلمسان لكونه يؤدي إلى اتجاه تلمسان ويطلق عليه اسم باب الواد لوقوعه على الوادي، ويقابله في أعلى حافة الوادي شرقا باب الجيارة السابق.

(1) Piesse. PP. 210 - 221 et Léon fex: histoire d'Oran avant, pendant et après l'occupation estagnole (Oran. Perrier 1858) IH80. VII. P. 343.

في الغرب:

باب المرسى، او المرسى الكبير: وسماه الأسبان باب سانتون: Porte du Santon ويقع في أقصى شمال غرب القصبة، وما يزال قائما حتى اليوم مع جزء من السور الذي يعلو القصبة من الغرب في سفح الجبل، ويؤدي إلى برج حسن وبرج الجبل، وبرج المرسى الكبير.

- **باب القصبة:** في أعلى باب المرسى، ولم نستطع تحديد مكانه بالضبط ولكن بييس ذكره [1].

في الشمال:

- **باب عمارة:** غرب البرج الأحمر، قرب مجرى واد الرحى، ويؤدي إلى حي البحرية، وحي لابلانسا، في الداخل وإلى الميناء على ساحل البحر خارجا.
- **باب كانستيل:** إلى جنوب باب عمارة، غرب القصر الأحمر كذلك، ويؤدي إلى حي لابلانسا الأسباني، حيث مقر القنصل الانجليزي ويلسفورد: Wildsford دفين المقبرة الأسبانية، خارج سور القصبة غربا، ونائب القنصل الأسباني: Gallado وما يزال هذا الباب قائما حتى اليوم وبجواره لافتة تدل عليه.

باب الميناء: الذي يسميه الأسبان باب البورتا Porte El Peurta ويقع على ساحل البحر غرب الميناء ما بين برج المونة اليهودي، وحي البحرية. ولا يوجد له أثر إلا في الخريطة. وأطلقت عليه خريطة أسبانية عام 1757. باب وهران.

القلاع والأبراج:

كانت مدينة وهران تتوفر على عدد كبير من القلع، والأبراج، والحصون، بعضها قديم جدا، والبعض يعود إلى عهد المرينيين، والأغلبية تعود إلى عهد الأسبان، والأتراك، كما ان البعض منها ما يزال قائما، والبعض تهدم واندثر، بسبب الحروب الطاحنة، والمتواصلة باستمرار على أديمها بين السكان، والأسبان المحتلين، وبسبب الزلزال المدمر الذي حصل عام 1790، وأتى على جزء كبير من عمران المدينة.

وقد أحصى محمد بن سحنون الراشدي شارح قصيدة الثغر الجماني. اكثر

(1) Piesse, pp. 211.

من ثلاثين حصنا، وقلعة، وطبانة، وذكر أن هناك حصونا أخرى لا يعرف أسماءها الأجنبية [1] ويمكن ترتيب بعض هذه الحصون، والأبراج، حسب تواريخ تأسيسها على الشكل التالي:

- برج القصبة عام 903م.
- برج الامحال عام 1331م.
- برج القديسة تيريز 1557م.
- برج العيون 1563م.
- برج حسن بن زهوة 1589م.
- برج الصبايحية 1693م.
- برج الجبل ما بين 1698 - 1708م.
- برج القديس بارب 1739م.
- برج القديس ميقيل أو برج الفرنسيس 1740م.
- **وتحيط هذه الأبراج، والحصون، بالمدينة على النحو التالي:**

في الضفة الشرقية لواد الرحى يوجد برج تيريز في أقصى الشمال الشرقي، والقصر الأحمر إلى جنوبه الغربي، ثم برج سان ميقال (برج الفرانسيس)، وبرج سانتا باربارا، وبرج الصبايحية، وبرج العيون، وبرج سان كارلوس، وبرج فيرناندو، في أقصى الجنوب الغربي.

وفي الضفة الغربية للوادي، يوجد حصن القصبة، وبرج الجبل، وبرج حسن، برج المونة، وغيرها من التحصينات الهائلة.

ونستعرض فيما يلي، تعريفات مختصرة، وموجزة، عن البعض منها حسبما يسمح به الموضوع.

قلعة القصبة:

تقع على الضفة الغربية لواد الرحى (رأس العين)، على سفح جبل المايدة (مرجاجو). ولا يعرف تاريخ تأسيسها بالضبط، والغالب أنها أسست عند تجديد بناء المدينة في مرحلتها الثانية خلال سيطرة محمد بن خضر ومحمد بن أبي عون، ومحمد بن عبدون، ويعلى اليفريني، عليها، أواخر عهد الدولة الرستمية، وخلال

(1) أحمد بن سحنون: الثغر الجماني، ص: 202 - 203.

الهجرة الأندلسية الواسعة إليها في مطلع القرن العاشر الميلادي (903 م)، وهي على شكل مثلث مستطيل يمتد من الجنوب إلى الشرق على الضفة الغربية لواد الرحى، وحافة المجرى الذي ينزل من قمة الجبل الذي أقيم فوقه برج الجبل، ويمتد طرفها الجنوبي الشرقي إلى حافة واد الرحى، وطرفها الجنوبي الغربي إلى عمق الجبل، وتطل على حي لابلانسا الأسباني، وحي البحرية، في الشمال.

وتعتبر مركز السلطة للحاكم وللأمراء منذ تأسيسها، وتمحور حولها السكان بمرور الزمن، وتتألف من قسمين: قسم علوي على سفح الجبل يمثل مقر الحكام في العهود الاسلامية المختلفة، وفي عهد الأسبان، والأتراك، وقسم سفلي إلى شرق القسم العلوي يحتوي على ثكنة للجيش، ومخازن لأسلحة، وعدة أبنية لإدارة الجيوش والبحرية، ومجالس الحرب، وحول جزء منه إلى سكن نساء الدايات في عهد الأتراك، وكاتب بجانب هذه القصبة بعض المساجد أزيلت في عهد الأسبان، وتتصل بباقي أجزاء المدينة بواسطة بابين.

وقد تعرضت القصبة مرارا إلى التهديم والتخريب، فهدم الكاردينال كزيمينيس جزءا منها عام 1509م، ثم جدد الأسبان بناءها عام 1589، وأحاطوها بسور خلال أعوام 1665م 1682م، وأحدثوا بها بعض الحصون والمنشآت للحماية والدفاع.

وعندما فتح بوشلاغم وهران عام 1708م اتخذ القصبة مقرا لسكناه وحكمه مدة ربع قرن، وجدد ما أمكن تجديده من عمرانها، وبنى مخزنا وحمامين ما يزالان حتى اليوم في أسفل مسجد محمد بن عثمان الكبير، بيد مصلحة القطاع الصحي.

وعندما حدث زلزال عام 1790م، تهدم وتخرب جزء منها، ولكن محمد الكبير، استقر بها، وأصلح الكثير من خرائبها، كما اتخذها الفرنسيون مقرا لجزء من قواتهم العسكرية عند احتلالهم للمدينة عام 1831م، وبقوا بها حتى عام 1962.

وقد أحاط الأسبان هذه القصبة بعدد من المعاقل المحصنة حولها للدفاع عنها ومنها: معقل الجرس: La campana الذي وضعوا به عشرة مدافع في الجنوب الغربي، ومعقل الحاجز: La barrera الذي وضعوا به مدفعين، ومعقل القديس بيير، الذي وضعوا به أربعة مدافع، ومعقل القديسة ايزابيل، الذي وضعوا به ستة مدافع، ومعقل حراسة الأسود: La guardia de los leones الذي وضعوا به ستة مدافع، ومعقل برج الحمري او نظارة القديس لويس بالقرب من باب المرسى ووضعوا به

اثني عشر مدفعا[1].

برج الأمحال او القصر الأحمر:

يعود تاريخ تأسيس هذا البرج إلى العصر الوسيط، حيث وضع تجار مملكة البندقية نواته الأولى، واتخذوه مركزا لنشاطهم التجاري مع موانئ المغرب العربي الساحلية، وقيل إن الذي صممه وبناه هو مهندس مالطي بأمر من القديس جون ملك بين المقدس خلال الحروب الصليبية، لاتخاذه مركزا للنشاط البحري الصليبي، وهذه الرواية محل نظر.

وعندما سيطر أبو الحسن المريني على الجزائر في الفترة الممتدة من 1331 إلى 1339م، اعتنى ولاته بأمر هذا البرج، وبرج المرسى الكبير، وطوروهما، ووسعوهما، وحصنوهما، وأعلوا أسوارهما، كما ذكر ذلك صاحب الحلفاوية، وصاحب الثغر الجماني، واتخذا منذ ذلك الوقت قاعدتين للنشاط الاسلامي من أجل الدفاع على المدينة وباقي البلاد المغربية بصفة عامة.

وقصر الأمحال هذا عبارة عن مدينة بحالها لأنه يشتمل على حوالي عشرة حصون في الداخل، وحصنين أماميين في الخارج، اتخذه الأسبان مقرا لحكمهم عندما احتلوا المدينة عام 1509م وسموه روزا الكازار: Rosalcazar وروزاس كاجاس: Roxas - Cajas وروازا لكابير: Rozalcaper وأحدثوا في داخله بعض التغييرات في عهد الملك فيليب الخامس، وتواصلت هذه التغيرات من عام 1563م إلى 1701 وأطلقوا عليه بعد ذلك اسم: القصر الجديد: Château Neuf ووضعوا به ثلاثين مدفعا ثم زادوا منها حتى بلغت 300 مدفعا، نظرا لأهميته في الدفاع عن المدينة والميناء، وسجل الأسبان هذه التغييرات في لوحة خاصة وضعوها على الحائط الشرقي المطل على واد روينة.

وعندما سيطر بوشلاغم على وهران عام 1708م، أسر بهذا البرج 500 شخصا أسبانيا من الذين كانوا يقاومون داخله، ثم لما احتل الأسبان وهران مرة أخرى عام 1732، أحد ثوافي البرج بعض التغييرات، وشيدوا بعض الأقواس، والأقسام، والمخابئ، في عهد الملك شارل الثالث، وسجلوا ذلك في لوحة رخامية على أحد جدرانه تحت اللوحة الأولى.

(1) Piesse, pp. 215 - 216.

ولما حرر محمد الكبير وهران للمرة الأخيرة عام 1791، خلد هذا الفتح في لوحة خاصة رخامية أثبتت تحت اللوحة السابقة وتحمل تاريخ 1206م (1791 م) واتخذه هو ومن جاء بعده من البايات مقرا لحكمهم، ويتألف من قسمين أساسين: قسم لسكنى الداي وحريمه، وقسم للحكم والإدارة، وتقع حول هذا القصر حدائق جميلة للورود والياسمين وبعد الاحتلال الفرنسي، اتخذه الحكام الفرنسيون مقرا لحكمهم كذلك سنوات طويلة وعديدة في القرن الماضي، والحالي[1].

برج المونة او برج اليهودي:

أسسته الأسبان عام 1509، في المكان الذي نزلت فيه قواتهم البحرية لأول مرة إلى البر على الشاطئ الشمالي الغربي لميناء المدينة، فوق رأس بري داخل في البحر، وأطلق السكان عليه اسم برج اليهودي نسبة إلى اليهودي بن زاوي سطورة، أو شطورة، الاشبيلي، الذي خانهم، وأرشد القائد الأسباني دون ديقو القرطبي Don Diego لينزل في ذلك المكان، ويدخل المدينة ويحتلها.

ويقع هذا البرج Le Fort de la Moune على رأس بحري إلى جانب أحد أبواب المدينة الذي يسميه الأسبان باب البورته، على الطريق الذي يؤدي إلى المدينة شرقا، وإلى المرسى الكبير غربان وتوجد بجواره مخازن سطورة اليهودي، الذي كافأه الأسبان، على صنيعه، وأقروه في وظيفته التي كان يشغلها، مكاسا، وقابضا للمال، واستغل هذا البرج حصنا للجنود، وللدفاع عن المدينة، وما يزال قائما حتى اليوم في يد رجال الدرك الوطني، وقد وضع الأسبان فيه أربعة مدافع، ووضع الفرنسيون مدافع أخرى ثابتة ما تزال حتى اليوم للدفاع البحري.

برج تيريز:

أسسه الكونت الكوديت عامي 1557 - 1558م شمال شرق البرج الأحمر، على ساحل البحر ليحمي شاطئ خنق النطاح، ومكانه اليوم إدارة الجمارك، وجدد تحصينه فاليجو: Don josé de Vallejo عامي 1737 - 1738، ووضع به 12 مدفعا للدفاع، وأسس بجواره مركزين صغيرين للحراسة مدفعا للدفاع، وأسس بجواره مركزين صغيرين للحراسة احاطهما بأسوار عامي 1740 - 1741م، وبعد تحرير وهران عام 1792، إتخذه عثمان بن محمد الكبير مركزا

(1) Ibid. Pp. 212 - 213..

لجمع امواله وثروته قبل أن ينقل إلى قسنطينة، وقد أزيل هذا البرج تماما خلال توسيع الميناء في عهد الاحتلال الفرنسي[1].

برج العيون او بني زروال:

أسسه الحاكم الأسباني الماركيز دوقوماريس Le Marquise de Gomarès عام 1509 في الجنوب الشرقي للمدينة بأعلى وادي الرحى على الضفة الشرقية، وسماه الأسبان برج القديسين: Château des Saints ثم برج القديس فيليب Le Fort Saint philippe وذلك على ربوة علية تشرف على المدينة من الجنوب الشرقي، وتشرف على ما وراءها من المناطق في الجهة الشرقية.

ومنذ أن أسس هذا الحصن، وهو محل هجوم، وتخريب، الجزائرين والأتراك، فهاجمه حسن قورصو. وهدم جانبا منه عام 1556، وهاجمه حسن بن خير الدين عام 1563، وخربه وهدمه تماما، وهدم بوشلاغم جانبا منه عام 1708، ولكن الأسبان بإستمرار يجددونه لأهميته في الدفاع على المدينة، ودعموه بحصن القديس كارلوس وحصن القديس فرنندو، في جنوبه الغربي والشرقي ووضعوا بهما مدافع جديدة، وربطوهما به بواسطة أنفاق أرضية ما تزال أجزاء منها حتى اليوم، وما تزال هذه الأبراج الثلاثة حتى اليوم قائمة. برج العيون في يدي الجيش الوطني الشعبي وحصن كارلوس في يد شخص بدأ يحدث فيه التغيرات ويعبث به لصالحه، وحصن فرنادو مهمل يعبث فيه السكارى، ومصالح البلدية تتفرج، وقد لا تكون عارفة بالأمر أصلا.

وفي عام 1791 جرت قرب برج العيون معركة كبيرة في 18 سبتمبر، بين قوات باي معسكر محمد الكبير، والجنود الأسبان الذين رفضوا الإستسلام وقتل خلال المعركة عدد كبير من عرب بني زروال، والظهرة المجندين في قوات الباي، فأطلق السكان على البرج منذ ذلك اليوم إسم: برج بني زروال، تخليدا للمعركة، كما أطلق على محمد الكبير، فارس الترك، وأمر باشا الجزائر بأن يهدم هذا البرج فهدم، وحول إلى خرائب إلى أن جدد الفرنسيون بناءه[2].

وبالقرب من هذا البرج خاض الأمير عبد القادر، وأبوه محيي الدين معركة

(1) Ibid. Pp. 217 - 218.

(2) Ibid. Pp. 214 - 215.

رأس العين المشهورة ضد القوات الفرنسية يوم 04 ماي 1832م.

برج حسن بن زهوة:

بناه الأسبان عام 1589، على ربوة صغيرة جنوب برج المونة وشمال برج الجبل، على سفح جبل مرجاجو، في مكان برج قديم قيل أنه يعود إلى عهد الإغريق القدماء وكان في العهود الإسلامية رباطا يتعبد فيه بعض الأتقياء، ويرابط به بعض المجاهدين للدفاع عن المدينة، وغير بعيد عنه يوجد منبع ماء معدني يعرف بإسم: "حمام داده أيوب".

وقد اطلق الأسبان على هذا البرج اسم القديس قريقوري: San Gregorio ووضعوا به 301 مدفعا ليحرس طريق المرسى الكبير الذي يمر بالقرب منه، وخلال زحف بوشلاغم على وهران عام 1708، هاجم هذا البرج هو والقائد حسن وهدما جزاء منه وبعد الاحتلال الفرنسي احتل هذا البرج في ديسمبر 1830 وأصلح وجدد عام 1845، وما تزال بقاياه حتى اليوم قائمة[1]. ويمسى برج حسن بن زهوة نسبة إلى اليهودي حسن بن زهوة رفيق شطورة اليهودي.

برج الصبايحية أو البرج الجديد:

أسسه الأسبان عام 1693 قرب باب الجيارة، بين البرج الأحمر، وبرج رأس العين، على الضفة الشرقية لوادي الرحى، لمراقبة قرية أفري العربية على الضفة اليسرى للوادي ومراقبة المناطق الشرقية كذلك، ووضعوا به 36 مدفعا ثم رفعوها إلى مائة 100 مدفع لأهميته في الدفاع وسموه القديس أندري: Le fort Saint Kandrè.

وفي عام 1769 انفجر هذا البرج وتهدم تماما، وأبيدت خلال الإنفجار ثلاثة فرق، ولكنه أعيد بناؤه، واتخذه الفرنسيون بعد الاحتلال مركزا للدفاع، وما يزال حتى اليوم في أيدي جنود الجيش الوطني الشعبي، وأنشئ إلى الشرق منه على طريق تلمسان، حصن جديد عام 1736 أطلق عليه اسم: القديس لويس لتدعيمه وتقويته[2].

(1) Ibid. Pp. 217.

(2) Ibid. Pp. 217.

برج الجبل او برج مرجاجو:

أسسه الأسبان على قمة جبل سيدي هيدور، فوق برج حسن بن زهوة. عام 1567 حسب رواية كيحل[1]، و عام 1577 حسب رواية ديدي[2]، أما بيس فقد ذكر أنه شيد في أعوام 1698 - 1708، واستعمل الأسبان في بنائه، الحميانيين الذين كانوا ينقلون المياه على ظهورهم، وذلك بتأثير من أحد شيوخهم الذي كان مواليا للأسبان وحجز لهم قرب عرشه، وبعد أن انتهوا من بنائه أطلقوا عليه إسم: القديس كروز ووضعوا به 300 مدفعا لأهمية موقعه المشرف على المدينة والميناء.

وفي عام 1708 هاجمه بوشلاغم، وأسر به 106 رجلا و6 نسوة، وفي عام 1732 هدم جزءاً منه بواسطة النسف قبل ان ينسحب من وهران، ولكن الأسبان جددوا بناءه وأتموه عام 1738م بقيادة فاليجو.

وعندما زحف محمد الكبير على وهران عام 1791 حاول نسفه، ولكن الجنود الأسبان فضلوا الإستسلام، وبقي على حاله إلى أن احتله الفرنسيون عام 1831، فجددوا تحصيناته في أعوام 1856، 1860، وسموه: القديسة لاكروا La Sainte La Crois وبنوا تحته كنيسة القديسة كروز عام 1849، بعد أن ظهر في المدينة مرض الكوليرا[3].

برج القديس ميقيل أو برج الفرنسيس:

أنشأته الأسبان عام 1740 شرق القصر الأحمر، على ربوة في الضفة الشرقية لوادي عين روينة الذي يفصل بين وهران وخنق النطاح، ويسميه السكان برج الفرنسيس، وجهزه الأسبان بإثني عشر مدفعا، وهدمه محمد الكبير تماما عام 1791، ولم يجدد بناؤه، ومكانه اليوم ثانوية باستور التابعة للبعثة الفرنسية[4]، وبالقرب من هذا البرج خاض الأمير عبد القادر معركة خنق النطاح مع والده ضد القوات الفرنسية يوم 03 مايو 1832م.

(1) C. Kehl: Le foro Santa - Cruz (Bul. Tr. So. GA. , Oran, Tome 54. Oran, 1933).

(2) Didier. Ibid. T. VIII, p 56.

(3) Ibid. Pp 216 - 217..

(4) Ibid. Pp. 213 - 214.

برج سانتا باربارا:

أنشأه الأسبان عام 1734 بجوار درب اليهود إلى الشرق من البرج الأحمر، وبرج الصبايحية، على زاوية خاصة للسور حيث الدائرة العسكرية اليوم وقد بناه فاليجو لتعويض برج قورد Le Tour Gourd الذي تهدم، واتخذه الفرنسيون بعد الاحتلال سجنا للأهالي الجزائريين[1].

* * *

وقد أضاف شارح الثغر الجماني، إلى ما ذكرناه عددا آخر من الأبراج، والطبانات، والحصون، مثل: سان نيكولاس فوق باب تلمسان، وسان جوزيف فوق الرحى، ولألينا حذو الباب، وبال واراتي وسط المدينة، وكوندكت، وطبانة لاباتاريا بين البرج الجديد وبرج العيون وغيرها. ومما ذكره قوله:

"وهناك بقية مواضيع لم أحفظ أسماءها وأما المواضيع التي وضعت لمجرد الرمي بالرصاص، فلا يمكن إحصاؤه، وما من موضع من هذه المواضيع إلا وفيه نفق يؤدي إلى غيره، فمن كان فيها وأراد أن يذهب تحت الأرض إلى أي موضع منها أو من المدينة، ذهب. وبذلك ازدادت هذه المدينة تحصينا على ما كانت عليه في زمن أبى الشلاغم، فإنها كانت في زمانه صماء إذا حصر البرج منها لم يكن غيره أن يغيثه ولا أن يمده بزاد ولا رجال بل إذا أخذ الحصار بمخنقه مديد الانقياد ولا كذلك الآن".

"وبالجملة فإن هذا البلد وضع في بطن واد آت من الجنوب إلى الشمال عند منتهاه حتى أن بعض حيطان دور أسفلها ربما أصابها البحر عند هيجانه إذ ليس بينها وبينه الإزقاق وأبراجها عن يمينها وشمالها ثلاثة كبار من جهة الشرق، واثنان من جهة الغرب أحدهما أعلى من الآخر، وفي أثناء الوادي فوق البحائر المغروسة قبل المدينة، برج صغيرة يمنع من اقتحامه وقوفه على شفة الوطى المطل عليه برج أبى بنيقة، وما سوى ذلك متخيل بين الأبراج وخلفها، وما من موضع يمكن أن تنال منه فرصة إلا وفيه برج صغير أو بطانة، أو غير ذلك، وقد دارت بها وبأبراجها وأسوارها الخنادق من كل جهة وكأنها نطاق، ومن دونها فيما بينها وبين الدور،

(1) (- Ibid. P. 213, et Jean Cazenave: Contribution à l'histoire du vieil Oran. R. AF. (Alger, 1925) , T. 66. PP. 323 - 368.

السوار بالمعصم، وأكثر طبناتها فوقها المدافع والمهارس، فكم من رام مصيب رد من دونها، ومن أسد مقدام وقف خلفها ينظر إليها شزرا ولا يقدر على التوصل إليها ورمى منها فبقي شلوه على العفر، وكم من جبان افتضح من دونها فلم ينجه إلا المفر".

"ومن فوقها، كما قدمنا آنفا، قلعة مرجاجو المشرفة على جميع الفجاج الموصلة إليها، والمكامن القريبة البعيدة عنها، وعلى جميع صفات البحر، فلا يفوتها من جهة البحر، ولا من جهة البر خبر فإذا رأى ناظروها سفنا في البحر جعل لهم علامات بقدر السفن يعلمون ذلك برؤيتها، وتكشف من البر كل موضع خفي، وكل كامن مبالغ في ستر نفسه فإذا رآه بالمرائي الهندية صاح لهم في البوق صيحة عظيمة ما لها من انقطاع قدر فواق حتى ينبئهم به وبعدده وبالموضع الذي هو فيه"[1].

المساجد والرباطات:

كانت مدينة وهران القديمة تشتمل على عدد كبير من المساجد، والزوايا، قيل إنها تربو على الثلاثين، ولكن الأسبان خربوا معظمها، وحولوا الباقي إلى كنائس، وفعل مثلهم الفرنسيون بعددهم مما يدل على مدى تعصبهم الديني، والعرقي، وكمثال على ذلك:

جامع البيطار:

الذي أسس عام 747هـ (1347) على كدية شمال القصبة، وقد حوله كزمينيس إلى الكنيسة عام 1509 بإسم: امرأتنا المنتصرة Notre Dame de la Victoire ثم أطلق عليها فيما بعد اسم: القديس كريست الصبور: Christ de la Saint Paciance وعندما فتح بوشلاغم وهران عام 1708 هدم هذه الكنيسة، وحولها اليهود إلى بيعة لهم، إلى أن خربها محمد الكبير عام 1791، وبقيت كذلك حتى الغزو الفرنسي، فأقام الفرنسيون في مكانها كنيسة باسم القديس لويس 1962، وأوصدت أبوابها وهي حالياً عبارة عن هيكل وجدران، ويا حبذا لو تعاد إلى أصلها

(1) أحمد بن سحنون: «الثغر الجماني»، ص: 202 - 203. وقد تحدث على برج المرسى الكبير وقال عنه: «وأما برج المرسى فإنه لا دخل له في الحصون المحامية عن البلد لبعده عنها. وهو على شاطئ البحر من جهة الغرب وراء جبل مرجاجو بينهما نحو الثلاثة أميال لا يدافع عن المدينة ولا تدافع عنه».

مسجداً كما أسست لأول مرة على تقوى من الله ورضوان، لتؤدي دورها الاسلامي. وقد حولت والحمد لله والحمد لله إلى مركز ثقافي عام 1983 لحي سيدي الهواري. وهو أمر جميل ولكن عودتها إلى مسجد أجمل، وأصدق.

مسجد البرانية (أو بني عامر):

الذي أسسه بوشلاغم عام 1708م للتجار الأجانب الذين يحضرون إلى وهران لغرض التجارة وذلك بالقرب من باب الجيارة خارج السور، فقد هدمه الأسبان عام 1732، وأقاموا في مكانه برج قورد La Tour Gourd لتدعيم برج الصبايحية، ولكن الباي عثمان هدم هذا البرج عام 1801 وأعاد تأسيس المسجد الذي بقي عامرا حتى 1844 ثم حوله الفرنسيون إلى كنيسة بإسم القديس أندري [1]، وقد حولت كذلك إلى مسجد كما كانت في الأصل إحياء لتراث هذه المدينة التاريخي وذلك في نهاية السبعينات من القرن العشرين الماضي.

وهناك حاليا بمدينة وهران أربعة مساجد تاريخية هامة وقائمة والحمد لله، نطالب بالمزيد من العناية بها، والمحافظة ما امكن على طابعها المعماري الجميل كجزء من التراث.

أولا – جامع الباي:

في خنق النطاح، أسسه الباي محمد الكبير عام 1793م ليكون بمثابة مثوي، وضريح له ولأهله بعد وفاتهم، ولكنه لم يقدر له ذلك رغم أنه عاش حتى عام 1825، لكونه تقل من وهران، وقد أغلقه الفرنسيون عشرات السنين ولم يسمحوا بفتحه إلا قبيل اندلاع ثورة التحرير الأخيرة بسنوات قليلة، ومنعوا الآذان فيه حتى لا يزعجوا السكان الأوروبيين حوله، الذين أحاطوه بعمارات شاهقة حتى يخفوه ويقللوا من شانه تمهيدا لإزالته، ولكن كلمة الله هي العليا، ونطالب بتوسيعه وضم البناءات الصغيرة بجواره إليه حتى يكون في مستوى عظمة تاريخ هذه المدينة، المجاهدة، ويستفيد سكان الحي المكتظين بأداء شعائرهم الدينية فيه.

ثانيا – الجامع الكبير او مسجد الباشا:

أسسه الباي محمد الكبير كذلك عام 1796م بأمر من باشا الجزائر الداي

(1) Piesse, pp. 221 - 222.

بابا حسن، تخليدا لفتح وهران الأكبر، وذلك بجوار القصر الأحمر، وحبس عليه عددا كبيرا من المتاجر والحمامات حوله، كما تشير إلى ذلك اللوحة الرخامية التي نقش عليها تاريخ تأسيسه، والتي توجد بالمتحف البلدي، وقد أوتي بالماء إلى هذا المسجد من عين جارية كانت قريبة منه[1].

ثالثا: جامع محمد بن عثمان الكبير:

أسسه الباي عثمان بن محمد الكبير عامي 1799 - 1800م بجوار برج القصبة إلى الشمال، على الحافة الغربية لواد الرحى وخلد عثمان تأسيسه في لوحة رخامية على جدار منارته المواجهة للقصبة، وعندما احتل الفرنسيون وهران عام 1831 حولوه إلى مستشفى عسكري سنوات طويلة، ثم لما أسسوا مستشفى بودانس الحالي ألحقوه به، واتخذوا الحمامين الذين بناهما بوشلاغم بجواره مغسلين للجنود الرماة[2].

وتعتبر منارته من المآثر التاريخية الهامة بهذه المدينة، بشكلها المعماري والهندسي الجميلين، وقامت عام (1979) لجنة دينية بترميم هذا المسجد بعد أن سلمته لها مصالح الصحة الولائية وأعادت فتحه من جديد، ولكن الأسلوب الذي اتبعته في الإصلاح والترميم غير سليمين فالمنارة يجب أن تحرر من كل المباني التي أنشئت حولها لتبرز وتظهر، وأماكن الوضوء التي استحدثت ليس ذلك مكانها، لأنها ضايقت المسجد كثيرا، ويجب نقلها وإبعادها عن قاعة الصلاة حتى تتسع الساحة للصلاة ولا يتسخ المسجد بالقاذورات، ونقترح جعل حمامي بوشلاغم في شرقه بيتا للوضوء، والمصالح الصحية ينبغي أن تتخلى عن كل المباني التي تحيط بالمسجد من الشرق، والشمال، حتى يمكن توسيع المسجد من جهة، وإسكان إمامه في بعض المساكن الخربة بعد إصلاحها، ونقترح أن تعاد إلى المسجد كل المباني والساحات الموجودة حاليا داخل السور المربع على الطرق الأربعة المحيطة، ولا يشرف وزارة الصحة أبدا أن تقلد المستعمرين الأوروبيين الحاقدين، وتستغل بيوت الله فيما لم تؤسس لأجله.

(1) Piesse, pp. 221 - 224. et W. Marial: La mosquée de Sidi Mohammed El-Kébir à Oran. Bul. Soc. G. Arch. (Oran, 1893) , pp, 153 - 154.

(2) Piesse, pp 221 - 224.

رابعا – مسجد وضريح سيدي محمد بن عمر الهواري بحي القصبة[1].

الرباطات:

كان بوهران رباطان اثنان أحدهما قديم، والآخر حديث، استحدث بعد الاحتلال الأسباني.

أولا: رباط كدية صلب الكلب:

ويقع في السفح الشمالي الشرقي لجبل مرجاجو، بالقرب من طريق المرسى الكبير، غير بعيد عن البحر، وهو عبارة عن مغارة كبيرة اتخذها بعض الزهاد مكانا للتعبد خلال العصور الاسلامية المتقدمة، ورابط فيه بعض المجاهدين للدفاع عن المدينة ضد المغيرين عليها من البحر، وعندما قدم تاشفين بن علي المرابطي إلى وهران عام 1145م، قصده في شهر رمضان لصلاه التراويح، والتبرك بالمتعبدين فيه، فعلم الموحدون بوجوده هناك وهاجموا الرباط، وحاولوا إشعال النيران فيه، ففر على فرسه، وسقط على الأرض ومات فعثر عليه في اليوم الموالي، وحز رأسه وأرسل إلى تينملل ليعلق على إحدى أبوابها، وأطلق على الرباط من ذلك اليوم اسم: رباط صلب الفتح، وبالقرب من هذا الرباط يوجد منبع وحمام معدني يدعى: " حمام دادة أيوب" الذي أشرنا إليه سابقا، وعلى خرائب هذا الرباط أقيم برج حسن بن زهوة فيما بعد.

ثانيا – رباط جبل المايدة:

ذكر شارح الثغر الجماني بأنه أسس بين سيدي معروف، والبريدية، وتانسالمت، على يد الباي محمد الكبير، وهو في الأصل عبارة عن مجموعة من المغاور تمركز بها بعض المجاهدين لمقاومة النصارى الأسبان، وملاحقتهم، ومضايقتهم، وبعد ذلك ورد عليه عدد من الطلبة، والعلماء، لنفس الغاية أمثال: الشيخ محمد بن عبد الله الجيلالي، والشيخ محمد بن علي أبي طالب المازوني، وكان الباي محمد الكبير يزودهم بالمؤن، والأغذية، والأسلحة، وطلب من الناس أن يقيموا الأسواق بجواره قرب إيفري حتى يتمكن المرابطون فيه من التزويد بما يحتاجون، ومنع الناس من إقامة أسواق في غيرها، وبني للمرابطين ثلاث رحاوات

(1) سنؤرخ لسيرته في القسم الثالث والأخير.

في واد مسرقين لطحن الحبوب، وكلفهم أن يشددوا هجوماتهم، ويواصلوها ضد الأسبان، ولعبوا دورا بارزا في طردهم من وهران بصفة نهائية عام 1792م، وأورد شارح الثغر الجماني مجموعة طرائف عن هذا الرباط وأصحابه يمكن أن تراجع هناك[1].

وما يزال هذا الرباط قائما حتى اليوم كمغارة في قمة الجبل، ويسكنه بعض الفقراء والمتسولين. ووضعت له باب، وفوقه ضريح أزيل عام 1980م.

المقابر والأضرحة:

كان بوهران عدد كبير من الأضرحة، والمقابر، ولكن الكثير منها اندثر، وأزيل من طرف المحتلين الأسبان، والفرنسيين، ومن ضمن ما بقي منها:

ضريح سيدي البشير بجوار ثانوية بن باديس الحالية، وكان في الأصل مقبرة كبيرة أزالها الفرنسيون بعنوان توسيع المدينة، والشيخ سيدي البشير من علماء غريس بمعسكر، وترجم له المازاري في مخطوطه: طلوع سعد السعود، وأبو رأس المعسكري في كتابه: عجائب الأخبار ولطائف الأسفار في وقائع وهران والأندلس بين المسلمين والكفار.

– ضريح سيدي الهواري بحي القصبة، وما يزال قائما حتى اليوم، وعامرا هو والمسجد الذي بجواره، بالزوار، والمتعبدين، ولوهران شهرة خاصة به.

– ضريح سيدي السنوسي بحي كدية لخيار (مارافال سابقا) وما يزال قائما حتى اليوم، وبالقرب منه خاض الباي شعبان باي مازونة، وجنوده، معركة كبيرة ضد الأسبان عام 1686م (1098 هـ) عرفت بمعركة كدية لخيار.

– ضريح سيدي عبد القادر الجيلالي في قمة جبل مرجاجو، أسسه، على ما قيل، المرصلي قائد رماة الباي محمد الكبير، وفاء للنذر الذي قطعه على نفسه فيما إذا تم تحرير المدينة من النصارى الأسبان، وحسب معلومات المازري في طلوع سعد السعود، فإن ضريح سيدي عبد القادر الجيلالي، هو ضريح سيدي الفيلالي قرب مقبرة سيدي الغريب، فقد ذكر عند ترجمته لأحمد الفيلالي بأنه دفن في قبة ضريح سيدي عبد القادر الجيلالي بجوار مقبرة سيدي الغريب. وقد أزيل هذا القبر عام 1980م.

(1) أحمد بن سحنون: الثغر الجماني، ص: 233 - 242.

- مقبرة سيدي الفيلالي في قرية إيفيري القديمة، التي تدعى اليوم البلانتور، وهي مقبرة صغيرة محاطة بسور، يقبل عليها الزوار كثيرا من العنصر النسوي.

- مقبرة سيدي الغريب جنوب القصبة الغربي، في سفح الجبل، وهي التي دفن فيها الشيخ سيدي الغريب، والشيخ سيدي هيدور، وما تزال قائمة، وتحتاج إلى عناية.

- وهناك أيضا مقبرة (مولى) الدومة في حي رأس العين التي يعود تاريخ تأسيسها إلى مصدر الاحتلال الفرنسي.

- وحتى المقبرة الأسبانية برأس العين ما تزال قائمة ولكنها تتعرض للتلف باستمرار، ويوجد بقسمها الجنوبي قبر القنصل الانجليزي ويلسفورد WILDSFORD الذي حول ضريحه إلى مجمع للأعشاب اليابسة، ومأوى للسكارى وهو أمر لا يقبله الشرع ولا يرضاه الله.

إن هذه الأضرحة، والمقابر، تمثل جزءا من تراث هذه المدينة التاريخي، والحضاري، وتحتاج إلى عناية، وصيانة مستمرة، من حيث النظافة المادية والخلقية، ومن حيث المراقبة ضد أيدي العابثين، والمفسدين، ومدينة وهران كلها بحاجة إلى عناية، خاصة لأن الاستعمار الأسباني والفرنسي الذي بقي بها أربعة قرون وخمسة عشر عاما، شوه كل معالمها وحطم الكثير من أمجادها، وذلك لتستعيد وجهها العربي المسلم [1].

(1) لقد وضع كازناف بيبلوغرافية هامة عن مصادر تاريخ مدينة وهران منذ فجر التاريخ إلى الاحتلال الفرنسي، ووضع روني باسي بيبلوغرافية عن المصادر العربية لتاريخ مدينة وهران يمكن العودة إليهما:

Jean Gazenave: Les Sources de l'Histoire d'Oran, essai bibliographique (Bul. Tri. Soc. G. Arch. Oran) (sep, oct. 1933)). T. 54, pp. 303 - 376.

René Basset: Fastes crologique de la ville d'Oran pendant la période Arabe, (Bul. Soc, G. P. Oran, 1892) , pp. 47 - 75.

القسم الثالث

علماء مدينة وهران وأولياؤها

علماء مدينة وهران وأولياؤها:

مدينة وهران في القديم، ذات ماضي حضاري مشرق ومتنوع عمراني واقتصادي، وثقافي، وصناعي، رغم النكسات التي تعرضت لها عبر التاريخ خاصة في العصر الحديث خلال الاحتلال الأسباني (1509 - 1793) والاحتلال الفرنسي (1831 - 1962م).

وعبر هذا التاريخ الطويل والماجد، انجبت وهران أعلاما وعمالقة في الفكر والثقافة و استقطبت أعدادا آخرين من الأقاصي البعيدة استوطنوها، وتمتعوا بشهرة ومكانة كبيرتين وشاركوا كلهم في إثراء حضارة هذه المدينة والمنطقة كلها، وكانت لهم بصماتهم في مجالات كثيرة خاصة الفقه، والحديث، والشريعة والأدب، وعلوم الرياضيات، والفلك، والفكر الاقتصادي والتعليم وطرقه وأساليبه، والتصوف ومذاهبه.

ومع أن وهران أخذت الشهرة بالشيخ الهواري الذي سبق أن قدمنا عنه حلقة خاصة في هذه الحصة إلا ان علماء آخرين كان لهم دورهم، ومكانتهم في هذه المدينة كل في ميدانه وحسب تخصصه، وإمكاناته وقدراته الفكرية. وترجم لهم كلهم أو بعضهم عدد من كتاب التراجم والسيَر، وعَدَّد كلٌّ منهم من: الزياني في كتابه " دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران "، وبن عودة المزاري في كتابه: "طلوع سعد السعود في أخبار وهران ومخزنها الأسود"، أكثر من خمسة وسبعين عالما ووليا، ما بين القرن التاسع، والقرن العشرين الميلادي (الثالث، والثالث عشر الهجري).

وسنحاول أن نقف عند البعض منهم، لنرى ونكتشف ما قاموا به من أعمال، وما بذلوه من جهود، في سبيل نهضة المدينة، والمنطقة، والبلاد بصفة عامة، ماديا وحضاريا، وما قدموه للحضارة العربية الاسلامية على مستوى العالم الاسلامي كله، والمغربي والمشرقي.

ومن هؤلاء: الشيخ المحدث أبو إسحاق إبراهيم الوهراني من علماء القرن 4هـ (10م). الذي تتلمذ عليه عدد من طلبة الأندلس على رأسهم عبد البر النمري الأندلسي وذلك لتطلعه في الفقه والحديث.

والطبيب الحكيم أبو محمد عبد الله يونس بن طلحة بن عمرون الوهراني، الذي ولد ونشأ بوهران أواخر القرن 4 هـ (10) ومنها انتقل إلى اشبيلية عام 429 هـ (1038م). وهو طبيب، ورياضي، تضلع في علوم الحساب، والهندسة، وعلم التطبيب، والعلاج، وقد ترجم له ابن أبي زرع، وتحدث عنه تلميذه ابن الخراز الوهراني كذلك.

والفقيه القاضي ابو عبد الله محمد الوهراني، قاضي الجماعة بالعرائش عام 584هـ (1188م)، وفي اشبيليا عام 592هـ (1195م)، وفي وهران، وتلمسان، حيث اشتهر بتطلعه في الفقه والحديث، وتوفي عام 602هـ (1205م).

والشيخ الأديب ركن الدين محمد ابن محرز الوهراني من علماء وأدباء القرن السادس الهجري (12م)، ولد وعاش بوهران معظم سنين حياته التي لم يسجل عنها شيء، ولم تحدد سنة ميلاده، وقد تجول في بلدان المغرب الاسلامي وصقلية على عهد المرابطين، والموحدين، ثم انتقل إلى مصر عبر تونس، وصقلية، وحاول أن يلتحق بديوان الإنشاء، فلم يوفق بسبب قوة وطغيان شخصية القاضي الفضل، ولذلك غادر مصر إلى الشام، وزار بغداد، ثم التحق بدمشق عام 570هـ (1174م) وعين إماما في مسجد داريا بضواحيها وبقي بها في وظيفته حتى توفي في شهر رجب 575هـ (ديسمبر 1179م).

وقد ألف خلال حياته رسائل، ومنامات، ومقامات، على شكل وأسلوب أبي العلاء المعري في رسالة الغفران.

وكان سليط اللسان، مقذعا لا يتورع عن استعمال الكلمات والجمل القبيحة، والبذيئة، وعن استعمال الأساليب الهزلية الهادفة، ومن أشهر مقاماته:

المنام الكبير الذي سار فيه على غرار المعري، والمقامة البغدادية، والمقامة الصقلية، ومقامة مساجد الشام، ومقامة بلغته. ولشهرة أدبه الهزلي اللاذع اهتم علماء السير والتراجم بالترجمة له ولأعماله الأدبية التي تعتبر من أهم النصوص المسرحية لا تقل عن مستوى مقامات الحريري، ومقامات بديع الزمان الهمذاني، ومن ضمنهم:

ابن خلكان في وفيات الأعيان، وابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار، والصفدي في الوافي بالوفيات، وابن قاضي شهبة في الأعلام والسيرفي في الكنز المدفون، ومحمد كرد علي في مجلة المقتبس، وخير الدين الزركلي في الأعلام، وفريد وحدي في دائرة معارف القرن العشرين، وبروكلمان، وعبد الوحيد الجيلالي

وعبد الله حمزة، والأستاذان إبراهيم شعلان، ومحمد نغش اللذان جمعا عددا كبيرا من مقاماته ورسائله ومناماته، في كتاب تحت عنوان: منامات الوهراني، ومقاماته، ورسائله وصدر بالقاهرة عام 1968م.

ولكن هذه الدراسة لم تقدم شيئا عن حياته الخاصة قبل هجرته إلى مصر والشام. وهي فترة طويلة وتعتبر ثغرة في سيرته الذاتية.

والشيخ أبو تمام الواعظ الوهراني من علماء القرن 7 هـ (13م) الذي انتقل إلى بجاية، ودرّس بها، وعلّم، واشتهر بتطلعه في الفقه والحديث، وعلوم الشريعة، وقد ترجم له ابن أبي زرع، والغبريني، وشربونو، وديدي، وغيرهم.

والشيخ محمد بن عمر الهواري المغراوي الذي ولد بقلعة هوارة عام 751هـ (1350 - 1351م)، وانتقل مع اسرته إلى كلميتو شرق مدينة مستغانم، ثم جاء إلى وهران، ومنها شد الرحال إلى فاس، وبجاية، وتونس، ومصر، والحجاز والشام، ثم عاد إلى وهران واستقر بها واشتغل بالتدريس. وإعطاء الورد، وأسس لنفسه مسجدا، وزاوية، وبقي على هذه الحال حتى توفي عام 843هـ (1439م)، ومن مصنفاته في علم التصوف، كتاب: السهو والتنبيه، الذي ما يزال مخطوطا لدى المثقفين. وهو عبارة عن شعر ملحون باللغة الدارجة. وقد اشتهرت به وهران. رغم أنه لم يقدم لها شيئا، بل دعا عليها ليحتلها النصارى الأسبان إذا صحت الرواية المشهورة في الكتب.

والشيخ إبراهيم بن علي بن مالك اللنتي التازي، تلميذ الشيخ الهواري، وخليفته في علمه، وطريقته الصوفية. وهو من علماء القرن التاسع الهجري (15م). وكان متضلعا في علوم الفقه والحديث، ونظم الشعر الصوفي، وعلم اللغة والبلاغة والأدب، ومن أشهر قصائده الصوفية:

المرادية التي بدأها بقوله:

مرادي من المولى وغاية آمالي "دوام الرضى والعفو عن سوء أحوالي وشرحها محمد الصباغ القلعي في القرن 10 هـ (16م) وسمى شرحه عليها: شفاء الغليل والفؤاد في شرح النظم الشهير بالمراد.

وتأتي أهمية التازي في كونه أول من أدخل الماء لمدينة وهران وأراح سكانها، خاصة النساء، من سقيه من الأماكن البعيدة، وقد جمع الأموال من الأثرياء وأشرف بنفسه على حفر السواقي، ومد القنوات حتى أوصله إلى وادي رأس العين بجوار المدينة غربا، ومع ذلك لم تشتهر به وهران، كما اشتهرت بأستاذه الهواري،

وقد توفي التازي بوهران عام 866هـ (1462م) ودفن بها إلى جوار شيخه، ثم بعد الاحتلال الأسباني للمدينة نقله تلاميذه خفية إلى قلعة سيدي راشد وما يزال قبره وضريحه بها حتى اليوم.

والشيخان: أحمد بن أبي جمعة المغراوي، ومحمد بن أبي جمعة المغراوي، حفيدا الشيخ الهواري ابنا ابنه، وهما عالمان جليلان، اختص الأول بعلوم التربية وألف كتابا بعنوان: جواهر الاختصار والبيان فيما يعرض بين المعلمين وآباء الصبيان، واختص الثاني بعلوم اللغو والأدب، وشرح لامية كعب ابن زهير، وسمى شرحه: "تسهيل الصعب على لامية كعب"، وله قدم في علوم الهيئة، والفلك، والحساب، وقد توفيا معا في مطلع القرن 10هـ (16م).

وتأتي أهمية الاخير محمد بن أبي جمعة المغراوي حفيد الشيخ الهواري، في كونه أصدر عام 910هـ (1504 - 1505م) فتوى لمسلمي الاندلس بالتظاهر بالمسيحية كوسيلة للمحافظة على اسلامهم، وتربية أبنائهم تربية اسلامية في منازلهم.

والكتاب الأديب محمد بن الحسن بن الخوجة المستغانمي الذي كان كاتبا في ديوان الانشاء للباي محمد بن عثمان الكبير، وهو من أدباء القرن 13هـ (19م) وينتمي إلى أسرة علمية ذات مكانة، وكتب عدة أعمال أدبية منها: "بغية المرتاد في كل شيء وجئت بلا زاد" الذي سماه كذلك بعد تعديله: "عمدة الزاد في إعراب كلا شيء وجئت بلا زاد".

وكان أبوه حسن خوجة كاتبا هو الآخر في ديوان الانشاء وألف كتابا عن وهران سماه: " در الأعيان في أخبار مدينة وهران"، ترجمة إلى الفرنسية ألفونس روسو. وكتابا آخر سماه: "بشائر أهل الإيمان في فتوحات آل عمران".

والعالم محمد المصطفى بن عبد الله بن زرقة الدحاوي مؤلف كتاب: "فتح وهران، وجامع الجوامع الحسان"، وكان كاتباً للباي محمد بن عثمان الكبير وعين مساعدا لرئيس رباط إيفري بوهران خلال الحصار الثاني عليها عام 1206هـ (1791م) وكلفه الباي بتسجيل حوادث الفتح، كلها، وتسجيل الأرزاق المؤن التي تقدم لطلبة الرباط فقام بالعمل خير قيام وألف كتابا سماه: "الرحلة القمرية في السيرة المحمدية". وقد عين قاضيا في هذه المدينة حتى توفي عام 1215هـ (1800م)، وقد لخص هوداس هذه الرحلة وقدمها في بحث لمؤتمر المستشرقين بالجزائر 1905 ولابن زرقة هذا كتاب آخر سماه: "كتاب الاكتفاء في حكم جوائز الامراء

والخلفاء"، لخصه ارنيست ميرسي ونشره في مجلة: روكي القسنطينية عام 1898م".

ويمكن أن نضيف إلى هؤلاء: محمد بن يوسف الزياني مؤلف كتاب: "دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران". وأحمد سحنون الراشدي مؤلف: الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني"، والقائمة طويلة تثبت وتؤكد الدور الكبير والهام الذي كان لعلماء هذه المدينة في ميدان الفكر، والثقافة، والتأليف، والجهاد، والتعليم، والتربية، والإصلاح الديني والسياسي والاجتماعي.

وهنا لا بد من وقفة خاصة لإبراز الدور الكبير الذي لعبه العلماء، والفقهاء، وطلبة العلم، على اختلاف مستوياتهم ومشاربهم واتجاهاتهم، في الجهاد والمرابطة من أجل تحرير وهران والمرسى الكبير، وطرد المحتلين الغاصبين الأسبان، ذلك الدور الفريد من نوعه الذي لم يكن له مثيل سوى في ثورة أول نوفمبر 1954، والذي لا يعرف أبناؤنا اليوم عنه إلا الشيء القليل، والنزر اليسير.

إن علماء بايليك الغرب الوهراني بصفة عامة جندوا انفسهم للجهاد والمقاومة طيلة تواجد الأسبان بوهران والمرسى الكبير بالسيف، والقلم، والحرب والسياسة، والنفس والنفيس، والأقربين منهم، والأباعد، فألهبوا حماس الناس وشجعوهم على الجهاد، وقدموا أموالهم، وأولادهم، ونظموا الشعر الحماسي، وألفوا الكتب، وجندوا العامة، وتقدموا الصفوف، واحتشدوا في الرباطات المحيطة بالمدينة وخاضوا المعارك الكثيرة واستشهد الكثير منهم في ميادين المعارك، ووقفوا إلى جانب البايات والخلفاء في استنفار الناس وجمع الاموال، وتوفير الأسلحة وتدبيرها، وتخلوا عن حياة المتعة ولبوا نداء الواجب الوطني، ولم يتوقفوا حتى تم طرد المحتلين الأسبان وتحرير المدينتين وهران والمرسى الكبير، وإعادتهما إلى حضيرة الوطن، والإسلام وهي عملية مقدسة.

وفيما يلي نبذة مختصرة عن هذا الدور للعلماء وطلبة العلم في رباط وهران.

دور العلماء في الرباطات في تحرير مدينة وهران

كانت وهران قبل الاحتلال الأسباني تتوفر على عدد من الرباطات حولها يرابط فيها الطلبة والعلماء للتعبد، والحراسة والدفاع على البلد والسكان، والاستعلام عن الأخطار التي لربما تعرض لها المدينة ومن بين هذه الرباطات قبل الاحتلال الأسباني:

1) - رباط قصر الأمحال أو القصر الأحمر، الذي يقع في شمالها الشرقي على الضفة الشرقية لمصب وادي الرحى، أو وادي رأس العين فوق ربوة عالية تطل على البحر، وعلى الجبهة الشرقية للمدينة التي تدعى بخنق النطاح، مما يسمح للمرابطين فيها بالتعرف على كل ما يجري برا وبحرا، وإخطار المسؤولين في المدينة على ذلك بسير، وسرعة، وسهولة، ونواة هذا الرباط تعود إلى العهد الفينيقي، وطورها المسلمون بعد الفتح الاسلامي، وكان هو النواة لبناء قصر الأمحال في النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي.

2) - رباط صلب الفتح على شاطئ البحر، بين وهران والمرسى الكبير، الذي كان يتعبد فيه الناس ويرابطون للدفاع عن المدينة ضد الهجومات التي تأتيها خاصة من البحر، وكان هذا الرباط يسمى برباط صلب الكلب، وقدم الفرس، وعندما التجأ إليه الأمير المرابطي تاشفين بن علي عام 1145م فرارا من قوات عبد المؤمن بن علي سلطان الدولة الموحدية وداهمته هناك، فر منه، وسقط على فرسه ومات، فأطلق الموحدون على الرباط اسم: "رباط صلب الفتح" تيمنا بفتح وهران.

ومن بين المتعبدين فيه: "العالم الوهراني. داده أيوب الذي ينسب إليه الحمام المعدني الذي كان قائما هناك على شاطئ البحر لغاية نهاية الحرب العالمية الثانية.

أما الرباطات التي استحدثت بعد الاحتلال الأسباني فكثيرة حول المدينة غربا، وجنوبا، وشرقا. أشهرها:

1) - رباط إيفري ومكانه اليوم: "حي رأس العين" غرب المدينة على الضفة الغربية للوادي.

2) - رباط جبل المايدة على قمة الجبل المطل على وهران غربا.

3) - رباطات: سيدي معروف، والبريدية، وتانسالت، ووادي مسرغين.

وقد اهتم البايات بهذه الرباطات، وحشدوا إليها العلماء، والفقهاء، وطلبة العلم، وفروا لهم كل ما يلزم ليقوموا بالجهاد ضد النصارى الأسبان المحتلين بوهران والمرسى الكبير.

لأن هذه الفئة من المجتمع هي التي كانت تبدي استعدادات أكثر للتضحية والجهاد، ولها قدرة على إقناع الناس كذلك بحمل السلاح والتطوع بعد أن تعطي هي المثل. وكان الباي محمد بن عثمان الكبير، هو أكثر البايات تجنيدا للعلماء،

والفقهاء وطلبة العلم، حتى وصلوا إلى حوالي 2500 عالما في رباط إيفري، ورباط جبل المايدة، والبريدية، وسيدي معروف.

رباط إيفري:

وقد سفه بعمله هذا الذين كانوا لا يؤمنون بجدوى تجنيدهم للجهاد وهو ما عناه أحمد بن سحنون الراشدي في كتابه: "الثغر الجماني" حيث قال: كان الناس حين أمر الطلبة بإيفري، مستهينين بالأمر، ظانين أنه مما لا فائدة فيه. فلما رأوا نجاح تدبيره بتضييق الطلبة على الكفرة، وقتالهم إياهم أينما رأوهم حتى عجزت عنهم طائفة الكفار واحتاجوا إلى طلب المسالمة بتسليم البلاد وصرحوا بأنهم أذوهم أشر الإذاية ونكَوْهُمْ أكبر النكاية، تبين للمعترضين أنهم كانوا في أودية الضلال يهيمون".

وعندما نجحت التجربة كلف الباي كاتبه المصطفى بن عبد الله بن زرقة بتقييد حوادث الجهاد التي يقوم بها الطلبة، وتسجيل الأرزاق والذخائر التي تجمع وتقدم لهم، فألف كتابه المعروف: "الرحلة القمرية في الأخبار المحمدية".

ثم ظهر له ايده الله فقرر فيه (الرباط) المرابطين للتضيق على الكفرة واختطاف من برز منهم حتى لا يكون لهم إلا ما قرب من السور مع مضايقته، فأدى في أعِيته من ارتحل إليه سقطت عنه المطالب المخزنية وبقي محترما موقرا فاجتمعت فيه أمة من الناس من كل ناحية بأموالهم وأولادهم فنزلوا فيما بين سيدي معروف، والبريدية، إلى عين تانسالت، فقام لهم بكفايتهم من العدة والخيل وغيرهما، وأباح لهم الحرث في تلك الجهة فكانوا يحرثون إلى قرب البلد الوهرانية، وجعل عليهم قوادا يقومون بأمرهم.

وكان يبعث لهم في كل شتاء وصيف، ما يعمهم به من أواخر سبيه مما كانت الأمراء قبله لا تسمح لهم بعشرة مرة في العمر فضلا عن مرتين في السنة ويوجه إليهم مع ذلك من يقسمه بينهم من خواص العلماء فبلغوا غرضه في التضيق على الفكرة حتى منعوهم من دامة الخروج، وقصرت أيديهم على نيل أكثر ما كانوا ينالونه من الغياض والمروج وانقطعت عمارة المغاطيس فصاروا لا يبلغون وان جهدوا مبلغ أصوات النواقيس من بعد أن كانوا يغزون البلاد.

ثم حسم مادتهم وقطع شافتهم بجمع الطلبة في الجبل وقد عين الباي محمد عثمان الكبير على رأس رباط إيفري الشيخ العالم محمد عبد الله الجيلالي، وكلفه أن يحتل قمة جبل المايدة ويتمركزون به حتى لا يقوم الأسبان بوضع بعض

التحصينات فيه خلال الاستعدادات الجارية للزحف على وهران، وزودوهم بكل ما يحتاجون إليه من المؤن والذخائر، وأمر بأن يمنع التدريس في كل الأنحاء ولا يتم إلى في الرباط الذي أصبح يؤدي دورين الجهاد، والتعليم.

وحتى يوفر الباي الذخائر والأسلحة أرسل كاتبه الشيخ العالم أحمد بن هطال التلمساني، وقاضي المحلة إلى المغرب الأقصى، وجبل طارق لشرائها، وأرسل معهما هدية إلى السلطان المغربي. كما أرسل وفد آخر إلى البلاد القبائل لشراء الذخائر كذلك خاصة مادة البارود.

ولكي يجند المزيد من المثقفين وطلبة العلم استدعى من مازونة الشيخ الفقيه العالم محمد بن علي بن الشارف المازوني ليلتحق بالرباط فحضر وحضر معه ولده السيد هنيث، وأخوه محمد والي مالقي طالب علم الذين كانوا يدرسون بمدرسة مازونة.

وكلف ستة من الطلبة بالتجول في القبائل والأعراش لاستنفار العلماء والفقهاء، وطلبة العلم، فجمعوا اربعمائة شيخ وطالب علم جاؤوا بهم إلى الرباط وزودهم الباي بكل ما يحتاجون إليه من المؤن والذخائر والجلود التي يستعملونها كأحذية لهم.

وقسمهم إلى مجموعات كثيرة كل منها يطلق عليها اسم الديوان. وبها خمسة وعشرون شخصا، وبلغ عدد هذه المجموعات مائة ديوان، وأصبح مجموع أفرادها ألفين وخمسمائة طالب علم.

كانوا في المقدمة خلال كل الهجمات التي شنت على الأسبان في وهران وأحوازها إلى أن تم تحريرها نهائيا عام 1792.

ومن بين من استشهد منهم: الشيخ الطاهر بن حوا الذي كان قاضيا يشتغل خطة القضاء بمعسكر.

ومن الطرائف التي ذكرها أحمد بن سحنون الراشدي: أن هؤلاء العلماء كانوا يستهينون بقذائف العدو عندما يلتقطونها فينسفون عليها حتى يطفئونها كي يستخرجوا منها مادة البارود.

هكذا يتضح أن الرباطات، وطلبة العلم، والعلماء أدوا دورا مشرفا في الجهاد ضد النصارى الأسبان وكانوا على رأس المحررين للمرسى الكبير في النهاية.

ومن الملائم أن نقدم فيما يلي قائمة بأسماء هؤلاء العلماء والأولياء الذين تعج بهم المصادر وكتب التراجم والسير:

قائمة العلماء:

1. الشيخ سيدي هدوا دفين تاساله من أهل القرن 3هـ (9م).
2. الشيخ محمد الغريب دفين جبل هيدور بوهران، ق هـ (10م).
3. الشيخ داده أيوب المغراوي من أهل القرن 4 هـ (10م).
4. الشيخ أبو إسحاق إبراهيم الوهراني من أهل القرن 4 هـ (10م).
5. الشيخ أبو محمد عبد الله بن يونس بن طلحة بن عمرون الوهراني، ق5هـ (11م).
6. الشيخ أبو محمد عبد الله بن الجبل عضو الجماعة بوهران، ق 6هـ (11م).
7. أبو عبد الله بن مروان، ق 6 هـ (12م).
8. الشيخ الأديب ركن الدين ابن محرز الوهراني، ق 6 هـ (12م).
9. أبو تمام الواعظ الوهراني، ق 7 هـ (13).
10. الشيخ محمد بن عمر الهواري، ق 8 و9 هـ (14 - 15 م).
11. الشيخ إبراهيم اللنتي التازي ق 8 و9 هـ (14 - 15 م).
12. الشيخ بختي بن عياد دفين بلاد غمرة، ق 9 هـ (15 م).
13. الشيخ محمد بن يبقى دفين جبل بوعروص، ق 9هـ (15م).
14. الشيخ غانم بن يوسف الترني دفين جبل ماخوخ، ق 9هـ (15م).
15. الشيخ أبو زيد عبد الرحمان مقلاش، ق 9هـ (15 م).
16. الشيخ أحمد بن أبي جمعة المغراوي حفيد الشيخ الهواري، ق 9 و10هـ (15 - 16 م).
17. الشيخ محمد بن أبي جمعة المغراوي حفيد الشيخ الهواري، ق 9 و10هـ (15 - 16 م).
18. الشيخ محمد بن الخير الجماعي دفين وادي تليلات، ق 12هـ (18 م).
19. الشيخ سيد البشير بن يحيى دفين وادي تليلات، ق 12هـ (18 م).
20. الشيخ بدر الدين دفين وهران ق 13هـ (19 م).
21. الشيخ سيدي السنوسي دفين كدية الأخيار بوهران، ق 13هـ (13 م).
22. الشيخ إبراهيم الخروطي الوهيب دفين كدية الأخيار ق 13 (19 م).
23. الشيخ محمد بن أبي يعزى الهسكوري دفين سيدي البشير، ق 13 (19 م).
24. الشيخ سيدي قادة بن المختار، ق 11هـ (17 هـ).
25. الشيخ قاضي أبو عبد الله الهمذاني الوهراني، 12 و13هـ (18 - 19).

26.الشيخ أبو محمد عبد الله بن الطيب بن حواء القداري التيجاني 12 و13هـ (19.18م).
27.الشيخ فرقان الفليتي ق 12 و13هـ (18 - 19 م).
28.الشيخ أحمد الغيلالي دفين رأس العين ق 12 و13هـ (18 - 19 م).
29.الشيخ محمد بن حسن الكاتب المستغانمي ق 13هـ (19 م).
30.الشيخ مصطفى بن عبد الله بن زرفة الدحاوي ق 13هـ (19م).
31.الشيخ محمد بن البشير الحريزي الزياني ق 13هـ (19 م).
32.الشيخ محمد بن يوسف الزياني ق 13هـ (19 م).
33.الشيخ محمد بن طاهر المحفوظي ق 13هـ (19 م).
34.الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الله الجيلالي ق 13هـ (19 م).
35.الشيخ الطاهر المشرفي ق 13هـ (19م).
36.الشيخ محمد بن عبد الله سقاط المشرفي ق 13هـ (19 م).
37.الشيخ عبد القادر بن مصطفى المشرفي ق 13هـ (19 م).
38.الشيخ احمد بن التهامى بن علي البوعمراني ق 13هـ (19 م).
39.الشيخ مصطفى بن التهامي ق 13هـ (19 م).
40.الشيخ محي الدين بن مصطفى المختاري ق 13هـ (19 م).
41.الشيخ مصطفى بن الهاشمي ق 13هـ (19 م).
42.الشيخ أحمد الهاشمي المراحي قاضي معسكر ق 13هـ (19 م).
43.الشيخ الحبيب بن الهاشمي المراحي ق 13هـ (19م).
44.الشيخ عبد القادر بن بروكش الورغى مفتي وهران ق 13هـ (19م).
45.الشيخ أحمد بن أعمر بن الخضير المهاجي ق 13هـ (19 م).
46.الشيخ الحبيب بن بروكش الورغى ق 13 هـ.
47.الشيخ مصطفى بن جلول الخروبي ق 13 هـ.
48.الشيخ محمد بن جلول الخروبي ق 13 هـ.
49.الشيخ محمد بن الخروبي ق 13 هـ.
50.الشيخ القاضي محمد بن الجيلالي الخروبي ق 13 هـ.
51.الشيخ محمد بن أقوجيل البرجي ق 13 هـ.
52.الشيخ محمد بن أفغول البرجي ق 13 هـ.
53.الشيخ محمد الصادق الحميسي بن علي المازوني المغلي ق 13 هـ.
54.الشيخ محمود بن حواء التوجيني ق 13 هـ.

55.الشيخ مفتاح البخاري شيخ الجماعة بوهران ق 13 هـ.
56.الشيخ أحمد بن هطال التلمساني ق 13 هـ.
57.الشيخ محمد الغولاوي ق 13 هـ.
58.الشيخ محمد بن البشير الوادفلى ق 13 هـ.
59.الشيخ الغوثي ق 13 هـ.
60.الخوجة مسلم بن عبد القادر من علماء المخزن ق 13.
61.الشيخ علي ابن سيف الدايرى من علماء المحزن ق 13 هـ.
62.الشيخ سليمان النزاري الدايري من علماء المخزن ق 13 هـ.
63.الشيخ قارة الجزائري ق 13 هـ.
64.الشيخ أحمد بن طاهر الرزيوى ق 13 هـ.
65.الشيخ محمد بن قريد ق 13 هـ.
66.الشيخ عبد الله بن عمارة البوعمراني ق 13 هـ.
67.الشيخ علي بن عبد الله بن عمارة البوعمراني ق 13 هـ.
68.الشيخ محمد بن يوسف الزياني من علماء المخزن ق 13 و14 هـ.
69.الشيخ الحسن بن إبراهيم العلمي الوزاني ق 13 و14 هـ.
70.الشيخ أحمد انكروف بن الملياني النكروفي ق 13 و14 هـ.
71.الشيخ الحبيب بن البخاري الحريزي الزياني ق 13 و14 هـ.
72.محمد بن الجيلالي الشهير بابن العالية ق 13 و14 هـ.
73.الشيخ الفقيه عبد الرحمان بن الطيب بن أحمد الباعمراني ق 13 و14 هـ.
74.الشيخ الحاج بن آمنة بن عمر المرياني العبد الغوي ق 13 و14 هـ.
75.الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد البلاحي المشيشي ق 13 و14 هـ.
76.الشيخ المولود بن عبد الرحمان بن أحمد البلاحي المهاجي ق 13 و14 هـ.
77.الشيخ الطيب بن البشير الشرفي الوادفلي ق 13 و14 هـ.
78.الشيخ الطيب المهاجي ق 14 هـ.

وهران - حي الصديقية.

أ. د. يحيى بوعزيز

الأحد 05 ذو القعدة 1045 هـ 19 جوان 1988م (جامعة وهران).

بعض المراجع ذات الصلة بالبحث

إبراهيم حسن (د. حسن): تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب وسوريا، ومصر، وبلاد العرب (القاهرة 1958) ص 741.

ابن بشكوال: كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائها. 2 أ ج. ط2 (القاهرة. 1962).

البكري (أبو عبيد الله): المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب. نشردي سلان. ط2 (الجزائر 1913).

بوعزيز (يحيى).

أ - علاقات الجزائر الخارجية 1500 - 1830 (الجزائر - 1985).

ب - وهران (الجزائر - 1985).

ج - الموجز في التاريخ الجزائر (الجزائر - 1965). ط2 (الجزائر 199) 2 أ ج.

د - اعلام الفكر والثقافة بالجزائر المحروسة (بيروت دار الغرب الإسلامي 1995) 2 أ ج.

هـ - ماضي مدينة وهران وأمجادها الحضارية مجلة الثقافة عدد 52 (أوت 1979).

التميمي (أبو العرب محمد بن أحمد): كتاب طبقات علماء أفريقيا (الجزائر 1914).

التنبكي (أحمد بابا): نيل الابتهاج بتطريز الديباج (القاهرة - 1932).

الجيلالي (عبد الرحمان): تاريخ الجزائر العام ج 2 و3 (الجزائر - 1982) ط2.

الحفناوي (أبو القاسم): تعريف الخلف برجال السلف 2 أ ج. ط2 (تونس - 1982).

ابن خلكان (شمس الدين): وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان ط. 2 تحقيق احسان عباس (بيروت - 1971).

الخنشى: قضاة قرطبة وعلماء افريقيا. (القاهرة 1914 م).

ابن أبي بكر (أبو عبد الله محمد القيرواني): المؤنس في أخبار افريقيا وتونس. (تونس - 1971).

الزياني (محمد بن يوسف): دليل الحيران وأنيس السهران في اخبار مدينة

وهران. تقديم وتعليق المهدي البوعبدلي (الجزائر - 1968).

السخاوى (شمس الدين محمد): الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (بدون تاريخ) 2 أ. ج.

ابن صعد الأنصاري الاندلسي: روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين (مخطوط بالمكتبة الوطنية).

عنان (محمد عبد الله): عصر المرابطين والموحدين بالغرب والاندلس، 2 أجراء (القاهرة - 1964).

الغبريني (أبو العباس أحمد): عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ط2. تحقيق رابح بونار (الجزائر 1971).

المراكشي (الأفراني): صفوة من انتشر من أعيان القرن الحادي عشر (ط. حجرية).

ابن مريم (أبو عبد الله محمد): البستان في ذكر الاولياء والعلماء بتلمسان (الجزائر 1908).

المشرفي (عبد القادر): بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الأسبان بوهران من الأعراب كبني عامر تحقيق بن عبد الكريم محمد (بيروت 1972).

المزاري (بن عودة): طلوع سعد السعود في اخبار وهران ومخزنها الأسود تحقيق الدكتور يحيى بوعزيز (دار الغرب الإسلامي 1990) 2 أ ج.

ابن محرز الوهراني (ركن الدين محمد): منامات الوهراني ومقاماته ورسائله. تحقيق ابراهيم شعلان ومحمد نغش (القاهرة - 1968).

المقرى (أحمد بن محمد): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب تحقيق وتعليق د. إحسان عباس (بيروت - 1968).

ابن ميمون (محمد): التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية تحقيق وتقديم ابن عبد الكريم (محمد) (الجزائر - 1972).

ابن هطال (أحمد التلمساني): رحلة محمد الكبير إلى الجنوب الصحراوي الجزائري. تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكريم. (الجزائر - 1972).

ونختم هذا العرض بالترجمة الشخصية للعالمين الفاضلين الشيخ محمد بن عمر الهواري، وتلميذه الشيخ إبراهيم اللنتي التازي، الذين تشتهر بهما وهران عبر التاريخ.

وهران - حي الصديقية

أ. د. يحيى بوعزيز

الأحد 05 ذو قعدة 1408 هـ 19 جوان 1988م.

ترجمة الشيخ محمد بن عمر الهواري

(751 – 843هـ – 1350 – 1439م)

ولد محمد بن عمر الهواري بهوارة في أحواز كليميتو على بعد عشرين كلم شرق مدينة مستغانم عام 751هـ (1350م) وتربى بين أهله وعشيرته، الأقربين من المغراويين، وأوكله أبوه الشيخ عمر إلى الشيخ علي بن عيسى ليعلمه ويحفظه القرآن الكريم. فلاحظ عليه نوعا من الغفلة والتواكل والبله وعدم الاهتمام بهندامه، وأخذ ينهره ويضربه فعاتبه والده وقال له لا تضربه حتى ولو كان كسولا، ومغفلا، لأن ذلك من علامات ولايته ونجابته.

وعندما بلغ سن العاشرة ذهب الى كلميتو، وتعرف هناك على ولي صالح يتعبد في غار، ولازمه حتى نال سره وأخذ عليه طريقته الصوفية وبقي عنده مدة من الزمن ثم غادره، وتنقل في مناطق البلاد المختلفة ومنها الواحات الصحراوية، وركب البحر وزار بعض جزر البحر المتوسط، وخالط الوحوش والضباع.

وبعد ذلك اتجه إلى مدينة بجاية واعتكف على الدراسة وتتلمذ على الشيخ أحمد بن إدريس، والشيخ عبد الرحمن الوغليسي، شيخي وأستاذي عبد الرحمن بن خلدون، وأخيه يحيى، المعاصرين له. وأعجبته بجاية وطاب له المقام بها، كما طابت للشيخ أبي مدين شعيب قبله، فأثنيا عليه وعلى سكانها المضيافين، وعلمائها وأمرائها، وذلك لتقديرهم للعلماء وطلبة العلم، وإيوائهم للغرباء وتقديم العون والمساعدة لهم.

يضاف إلى هذا استقطاب هذه المدينة للعلماء الفضلاء أصحاب الباع الطويل والواسع في مختلف فروع العلم والمعرفة، وقد سجل هذا الثناء في نظمه الملحون المسمى بالتسهيل. وفي هذه المدينة بجاية ألف كتابه المسمى: «السهو والتنبيه» في أحكام الطهارة والصلاة، ونظم قصيدته التي سماها: التسهيل ولا ندري كم سنة قضاها في بجاية، وما هي السنة التي غادرها فيها.

ومن بجاية عاد الشيخ الهواري إلى مسقط رأسه، ثم قصد مدينة فاس للدراسة والتعلم كذلك، وجلس إلى حلقة الشيخ العبدوسي والشيخ القباب، وذكر

ابن صعد بأنه أتم في فاس حفظ كتاب المدونة للإمام مالك عام 776هـ (1374م) وهو في سن الخامسة والعشرين كما ذكر أنه في هذه السنة أتم نظم كتابه: «السهو في الطهارة والصلاة»، علما بأن ذلك تم في بجاية وليس بفاس. ولعل المقصود بذلك هو إتمام هذا الكتاب، وتنقيحه في فاس وإدخال بعض التعديلات عليه. وهناك بفاس تصدى الشيخ الهواري للتعليم والتدريس بعد أن أصبح عالما، والتف حوله طلاب العلم وأثنوا عليه.

ومن فاس شد الرحال إلى المشرق عبر تونس وليبيا، وعندما وصل إلى مصر أقام مدة في الجامع الأزهر، وتتلمذ على الشيخ الحافظ العراقي وآخرين، ثم التحق بالحجاز وأدى فريضة الحج بمكة. وزار المدينة المنورة، وتبرك بزيارة قبر الرسول عليه الصلاة والسلام، ولا شك أنه أخذ العلم على عدد من علماء مكة والمدينة المجاورين وما أكثرهم، وما أوسع علمهم.

ومن المدينة المنورة انتقل على فلسطين عبر غزة، والتحق بمدينة بيت المقدس، وزار المسجد الأقصى، وقبة الصخرة، وقبر الخليل إبراهيم عليه السلام، وباقي المزارات الأخرى، وحضر عددا من الدروس في المسجد الأقصى. واتصل بالعلماء الموجودين هناك وتعرف عليهم، وانتفع بعلمهم وآدابهم، ولربما ألقى دروسا هناك، كما فعل في المدن والعواصم الأخرى التي أقام بها أو زارها في المغرب والمشرق.

ومن بيت المقدس اتجه إلى بلاد الشام وقصد مدينة دمشق الفيحاء وأقام بها مدة من الزمن يدرس على علمائها ويدرس لطلبة العلم المتعطشين بها خاصة ما يتصل بتاريخ المغرب وحضارته، ولو كمجرد حكايات وأقاصيص عنه. وخلال إقامته بدمشق اعتاد الخروج إلى الغوطة للإنفراد بنفسه، واستعراض ما حصل عليه من علوم ومعارف، والتفكير فيما يعتزم عمله مستقبلا.

وبعد هذه الرحلة الطويلة إلى بلدان المشرق العربي الاسلامية التي لا نعرف متى بدأت ومتى انتهت، قفل الشيخ محمد بن عمر الهواري راجعا إلى بلاده عبر مدن وعواصم كل من مصر، وليبيا، وتونس، والجزائر، واستقر به المقام في مدينة وهران، التي كانت آنذاك تعج بالنشاط الاقتصادي والعمراني، والثقافي، والاجتماعي، واستقطبت جموعا غفيرة من المهاجرين الأندلسيين الذين حملوا إليها حيويتهم السياسية، ومهاراتهم الفنية: المعمارية، والصناعية، والثقافية، كما أشرنا إلى ذلك سابقا.

ويبدو أن الشيخ الهواري استهوته كذلك وفضل الاقامة والاستقرار بها لتلك الأسباب وتصدى للتعليم والتدريس، والتف حوله عدد لا بأس به من طلبة العلم أغلبهم قدم إليه من الآفاق البعدية. كما تصدى لتلقين الأذكار والأوراد لعدد آخر من المريدين. من الناحية الدينية، وصادف نجاحا وإقبالا كبيرين ولما كان كتابه: «السهو والتنبيه» ألفه باللغة الدارجة، فقد حاول تلميذه أبو زيد عبد الرحمن مقلاش أن يصلح ما به من أخطاء نحوية ولغوية. فاعترض عليه وقال له: دع سهرك عندك. واترك سهري لي، ونهره عن فعله ذاك.

وقد عاش الشيخ الهواري أحداث زحف سلطان تونس الحفصي أبي فارس عزوز على مدينة تلمسان فتوسط أميرها الزياني أحمد العاقل بالشيخ الحسن أبركان التلمساني ليطلب من الشيخ الهواري أن يتدخل لدى سلطان تونس من أجل إبرام الصلح، وحقن الدماء وتجنيب تلمسان مخاطر الغزو، وهذا يدل على المكانة التي كانت للشيخ الهواري آنذاك.

ولما كان الحسن أبركان تلميذا للهواري فقد أسرع بإبلاغه رغبة أحمد العاقل، فرفض في البداية بدعوى أنه لا شأن له بالملوك والأمراء، ثم بعد الإلحاح والمراجعة قبل وقال له قل لصاحبك سلطان تلمسان أن يطمئن فسوف لن يرى ولن يتقابل مع سلطان تونس، وصادف أن توفي أبو فارس عزوز فجأة في سفح جبل الصدر من جبال الونشريس صباح يوم عيد الفطر من عام 837 هـ (11 ماي 1434 م) بينما كان الناس ينتظرون خروجه لأداء صلاة العيد، وهو في طريقه إلى تلمسان فأخفى ابنه وفاته، وتوقف عن مواصلة الزحف إلى تلمسان وحمل جثته وعاد بها إلى تونس وكفى الله تلمسان وأميرها شره، وشاع يومئذ بأن الشيخ الهواري هو الذي دعا عليه.

وهناك إشاعة أخرى نقلها كثيرون من تلاميذه ومنهم إبراهيم التازي، والحافظ أبو راس، وشاعت بعد ذلك وانتشرت في كتابات الأوروبيين. ومفادها أن الشيخ الهواري هو الذي دعا على وهران حتى احتلها الأسبان. ذلك أن بعض الناس من سكانها قبضوا على ابن له هائج لمرض ألمّ به على ما يبدو حتى لقبوه بالهائج. وقتلوه وزعموا أنهم حكموا فيه الشرع الإسلامي. فسكت هو وتحمل المصيبة على مضض، ولكن زوجته غضبت وألحت عليه في الإقتصاص، وضربت له عدة أمثلة من الواقع حتى أثرت فيه فإتصل بقاتلي ابنه وحاججهم، وزعموا له بأن ابنه هائج استوجب القتل وطبقوا في قتله أحكام الله فعارضهم وأكد براءة ابنه مما

نسب له، واشتد غضبه فدعا على وهران بقوله: "روحي يا وهران الفاسقة يا كثيرة الجور والبغي والطارقة، يا ذات الأهل الباغية السارقة، إني بعتك بيعة لنصارى مالقة وجالقة إلى يوم البعث والتالفة، مهما ترجعى فأنت طالقة". ولما سأله أحد تلاميذه قائلاً: والفرج يا سيدي استدرك وقال: " والفرج لا حقه"، وهذا التلميذ هو الشيخ إبراهيم التازي.

وفعلا احتل الأسبان وهران بعد 72 عامًا من تاريخ هذا الدعاء الذي لا ندري مدى صحته ونسبته إلى الشيخ الهواري، الذي لا يرضى ولو مع غضبه بأن تسقط مدينته أو أية مدينة إسلامية أخرى في أيدي عدو نصراني كافر خاصة في مثل تلك الظروف التي تكالب فيها النصارى الأسبان وغيرهم على احتلال واستعمار البلدان المغربية الإسلامية في إطار الحروب الصليبية البغيضة، وإلا فلا معنى لولايته وتزهده، وعلمه، وتدينه.

بقي الشيخ الهواري يواصل نشاطه الديني والثقافي والإجتماعي بوهران حتى توفي عام 1439م (843 هـ) ودفن بأسفل حي القصبة العتيق، وبني على قبره ضريح ومسجد ما يزالان قائمين حتى اليوم. الضريح مزار، والمسجد عامر تؤدى فيه الصلوات الخمس. والجمعة، وبه تشتهر وهران حتى اليوم وتنسب إليه. ولكن الضريح يوجد داخله تابوت من الحطب، ولا وجود هناك لأي علامة قبر تحته بل هناك أرضية عادية، ودفن معه عام 1944! مفتي وهران الشيخ بولحبال القسنطيني.

حول مدفن الشيخ الهواري

وهناك عدة روايات متضاربة حول مدفن الشيخ الهواري، فزعم جان كازناف في مجلة جمعية الجغرافية والآثار لمدينة وهران عام 1926م بأن حوش الشيخ الهواري المحاط بسور ما يزال موجودًا وقائمًا في قرية بني تالة قرب مدينة وهران، ولكنه لم يحدد مكانه ومكان القرية بالضبط.

وأورد المقدم ديدي في الجزء الرابع من كتابه: وهران، عام 1931 صورًا لأفراد أسرة زعم أنهم من أحفاد الشيخ الهواري عددهم أربعة أفراد اخذت لهم يوم 9 أوت 1931 وهم: الهواري، وحامد، وبدرة، يحملون جميعًا لقب ابن ستى البشير بن الهواري. وروى عنهم بأن جدهم الشيخ الهوراي مدفون في ضريح صديقه الشيخ سيدي المسعود بقرية حاسي الغلة غرب مدينة وهران على الطريق

المؤدي إلى عين تيمونشت وتلمسان. وأما الضريح والمسجد الحاليان اللذان يحملان اسمه بمدينة وهران فقد أسسهما حفيداه: الحاج حاجي، وحمو بويعزار عام 1793، أي بعد عام من تحرير المدينة من الاحتلال الأسباني الأخير.

ومن أجل الزيادة في التحري، والتحقيق قمنا بزيادة إلى ضريح سيدي المسعود قرب قرية تارقة شمال قرية المالح على بعد حوالي 65 كلم من وهران، صباح الخميس 5 ذو الحجة 1407م (30 جويلية 1987 م). ولم نجد في الضريح سوى قبر واحد. وبجواره مسجد صغير بدأ يتداعى سقفه، ولكن هناك على بعد بضعة أمتار منه آثار لقبر داخل حويطة، محاطة بثلاثة جدران، ولم يحدثنا أحد لمن هو.

ثم قمنا بزيارة لضريح آخر غرب قرية تارقة بحوالي 4 كلم يحمل اسم: سيدي الهواري صباح الخميس 25 ذو الحجة 1407 هـ (20 أوت 1987) ووجدناه داخل ضريح تهدم سقفه بفعل السلطات الاستعمارية خلال ثورة التحرير المباركة الأخيرة (1954 - 1962) على ما قال لنا أحد الرجال هناك. وأكد لنا رجل آخر في تارقة بأن هذا الوالي الصالح ليس هو الشيخ الهواري الوهراني، وإنما هو رجل آخر كان صديقًا وتلميذًا للشيخ بختي بن عياد دفين قرية سيدي بختي ببلاد غمرة شمال قرية حمو بوتليليس، كما أكد لنا بأن بني تالة يوجدون بين قرية زفيزف، وحمام بوحجر قرب سيدي بلعباس، وأن سيدي شافع يوجد قرب قرية عين البيضاء بجوار حاسي الغلة على طريق حمام بوحجر. وأكد الآغا المزاري في كتابه: طلوع سعد السعود بأن الهواري مدفون بوهران، وكل الروايات الأخرى باطلة.

إنها حقيقة ضائعة بين هذه الأقوال والروايات، فالأسبان الذين احتلوا وهران ما يقرب من ثلاثة قرون حولوها إلى محتشد للجنود الأسبان وغير المرغوب في إقامتهم بأسبانيا، ولم يبقوا فيها أي أثر للمعالم العربية الإسلامية فكيف سلم قبر الشيخ الهواري، ومسجده من التخريب؟ اللهم إلا إذا بلغتهم دعوته عليها باحتلالهم لها، وعندما تحقق لهم ذلك كرموه بالإبقاء على قبره وضريحه ومسجده. ولو أن هذه الرواية مشكوك في صحتها، لأنه مهما بلغ غضب الشيخ الهواري على سكانها فلا يعقل أن يرضى أن يحتلها النصارى المسيحيون الكفار، وهو رجل مربي وعالم وولي صالح متصوف، وإلا فلا معنى لعلمه، وتدينه، وتصوفه، وتزعمه لعلماء عصره.

والروايات العديدة المتواترة عن دفنه بوهران يصعب تكذيبها خاصة وأنه عاش بها، وشهرت به، ونقل ذلك تلاميذه وعلى رأسهم الشيخ إبراهيم التازي وآخرون. ومع ذلك فالرأي الذي أورده ديدبي جدير بالدراسة والبحث والتدقيق

والله أعلم في الأخير بحقيقة الأمر.

وقد أورد ديدبي ملحقًا في كتابة المشار إليه آنفًا، يحتوي على أكثر من ثلاثين رسالة بين طويلة وقصيرة، تتضمن الأوقاف التي حبست على ضريح الشيخ الهواري ومسجده والكيفية التي ينبغي اتباعها لصرف مواردها المالية، بعض هذه الرسائل لباشوات الجزائر، والبعض لبايات بايليك الغرب الوهراني. والبعض لأشخاص آخرين أثرياء، أو لهم قرابة بعائلة الشيخ الهواري، وتواريخ هذه الرسائل متنوعة بعضها في القرن 18م والبعض في القرن 19م.

ومما ينبغي تسجيله هنا هو أن الشيخ الهواري رغم مركزه العلمي والديني فإن ثقافته العربية ضعيفة فهو ينظم الشعر بالدارجة ويكتب كذلك بالدارجة وهو ما أدى بتلميذه عبد الرحمان مقلاش إلى إصلاح أخطائه في كتابه: السهو والتنبيه، ولكنه رفض ذلك وأصر على إبقائه لغته الدارجة على ما كانت عليه، ونهر تلميذه كما سبق أن ذكرنا، ورد عليه إصلاحاته [1].

---

(1) من جملة من ترجم للشيخ الهواري: محمد بن يوسف الزياني في دليل الحيوان. والآغا المزاري. في طلوع سعد السعود. وأبو راس الناصر في رحلته، وابن مريم في البستان، والحفناوي في تعريف الخلف، ودلبيش في المجلة الأفريقية (1884)، وبارجيس في كمبليمانت: complément، وديستيق في المجلة الآسيوية. وديدي في كتابة: وهران. وجان كازناف في مجلة جمعية الجغرافية والآثار لمدينة وهران (1926م)، وابن صعد التلمساني في كتابه النجم الثاقب. وكتابه روضة النسرين وهو تحت الطبع في دار الغرب الإسلامي. وابن سحنون في الثغر الجماني، وآخرون.

ترجمة الشيخ إبراهيم التازي

(توفي يوم 9 شعبان 866 هـ 9 ماي 1962م)

من مواليد مدينة تازة بالمغرب الأقصى، ومن قبيلة بني لنت البربرية، ولم تتحدث المصادر التي ترجمت له على تاريخ ميلاده.. والغالب أنه كان في أواخر القرن الثامن الهجري. أوكله أبوه إلى الشيخ أبي زكرياء يحيى الوازعي الذي اعتنى به كثيرا، وحفظه القرآن الكريم ورعاه تمام الرعاية. ومن تازة انتقل إلى مدينة تلمسان وتتلمذ على الشيخ محمد بن مرزوق الحفيد الذي أجازه. ثم انتقل إلى وهران وتعرف على الشيخ محمد بن عمر الهواري، ووثق صلاته به، ومنها رحل إلى تونس وتتلمذ على الشيخ أبي القاسم عبد العزيز العبدوسي. ثم شد الرحال من هناك إلى الحجاز لأداء فريضة الحج عبر ليبيا ومصر، وفي مدينة مكة المكرمة أخذ على الشيخ القاضي تقي الدين محمد بن أحمد بن علي الحسني الفاسي، علم الحديث، والرقائق، وأجازه عام 830 هـ (1427 م). وعندما انتقل إلى المدينة المنورة أخذ على جماعة من العلماء بينهم الإمام أبو الفتح ابن أبي بكر القرشي في نفس العام والذي تلاه.

أتقن الشيخ إبراهيم التازي علوم القرآن، والحديث، واللغة وقواعدها، والأصول، والمنطق، كما أتقن تجويد القرآن الكريم بصوت جميل حتى أصبح يضرب به المثل وينصت إليه الجميع عندما يتلوه ويجوده. واشتهر، بنظم الشعر في الزهد والتصوف، وكان له كناش كبير من الاشعار متداول في الحجاز، ولبس الخرقة الصوفية على الشيخين: شرف الدين المراغي، وصالح بن محمد الزواوي، ثم على الشيخ محمد بن عمر الهواري عندما عاد إلى وهران.

ومن المشرق عاد الشيخ التازي إلى مدينة تلمسان بعد أن أدى فريضة الحج، واستقر بها بعض الوقت، وأخذ على جماعة من علمائها أمثال الحافظ التنسي، والإمام السنوسي وعلي التالوتي، ثم تصدي للتدريس، وتتلمذ عليه الشيخ أحمد زورق الذي أجازه عام 832 هـ (1429 م).

ومن تلمسان انتقل إلى وهران، واستقر بها إلى جانب شيخه محمد بن عمر

الهواري، ولازمه طيلة حياته، واتخذ لنفسه زاوية خاصة بأمر منه ونشط في التعليم والوعظ والإرشاد وتلقين الأذكار، وتحدث عنه الرحالة القلصادي في فهرسته وذكر أنه اجتمع به في وهران، وعندما توفي شيخه الهواري عام 843 هـ (1439 م) خلفه في مشيخته ونشاطه العلمي والتربوي.

ومن الأعمال الكبرى التي انجزها إدخال الماء إلى مدينة وهران من منابعه البعيدة عنها، بعد أن اتفق مع أثريائها على تقديم الاموال اللازمة لذلك. وجرى احتفال كبير بذلك الحدث الذي خفف على الناس عناء الإتيان به من منابعه البعيدة خاصة النساء اللاتي كن يقضين ساعات طويلة من اليوم لإحضاره على ظهورهن في القرب.

توفي الشيخ إبراهيم التازي يوم 9 شعبان عام 866 هـ (9 ماي 1462 م) ودفن قرب ضريح شيخه الهواري لمدة خمسين عامًا، وعندما احتل الأسبان مدينة وهران، واتخذوا قبره شبه مخمرة، استنكر ذلك تلاميذته، ونقلوه سرًا إلى قلعة هوارة التي تعرف اليوم بقلعة بني راشد، ودفنوه هناك وبنوا عليه قبة وضريحًا ما يزالان حتى اليوم مزارين خاصة بالنسبة للعنصر النسوي، وذكر الآغا المزاري في كتابه طلوع سعد السعود، بأن محل قبره بوهران كان ما يزال محاطًا بحويطة يتبرك بها الناس وذلك أواخر القرن التاسع عشر. ولكن هذه الحويطة غير موجودة اليوم.

إن الشيخ إبراهيم التازي ذو ثقافة متينة، وله شعر غزير في أغراض شتى خاصة الزهد، والتصوف، وذم الدنيا، نورد فيما يلي نماذج عديدة ومتنوعة منها:

قال في ذم الدنيا وزخرفها:

أما آن ارعواؤكَ عَنْ شنار ... كفي بالشّيب زجرًا عن عوار

أبعد الأربعين تروم هزلا ... وهل بعد العشيّة من عرار

فخلّ حظوظ نفسك واله عنها ... وعن ذكر المنازل والدّيار

وعدّ عن الرّباب وعن سعاد ... وزينب والمعارف والعقار

فما الدّنيا وزخرفها بشيء ... وما أيّامها إلاّ عواري

وليس بعاقل من يصطفيها ... أتشري الفوز ويحك بالتّبار

فتب واخلع عذارك في هوى ... من له دار النّعيم ودار نار

جمال الله أكمل كل حسن ... ولله الكمال ولا مماري

وحبّ الله أشرف كلّ أنس ... فلا تنس التّخلّق بالوقار

وذكر الله مرهم كلّ جرح — وأنفع من زلال للأوار
ولا موجود إلاّ الله حقّا — فدع عنك التّعلق بالشّنار

وله من قصيدة أخرى في ذم الدنيا كذلك:

يا صاح من رزق تُقى وقلى الدّنا — نال الكرامة والسّعادة والغنى
فاصرف هوى دنياك واصرم حبلها — دار البلايا والرّزايا والعنا
وودادها رأس الخطايا كلّها — ملعونة طوبى لمن عنها انثنى
لا تغترز بغرورها فمتاعها — عرض معد للزوال وللفنا
لعب ولهوٌ زينة وتفاخر — لا تخدعنك جنانها مرّ الجنا
خدّاعةٌ غدّارةٌ نكّارةٌ — ما بلغت لخليلها قطّ المنى
اليوم عندك جاجها وحطامها — وغدا تراه بكف غيرك مقتنى
فاقبل نصيحة مخلص واعمل بها — تدنيك من رضوان ربك ذي الغنى
يدخلك جنات النعيم بفضله — دار المقامة والمسرة والهنا

وله أيضا من أخرى في ترتيب الوظيفة سماها الحسام:

حسامي ومنهاجي القويم وشرعتي — ومنجاي في الدّارين من كل فتنة
محبة رب العالمين وذكره — على كلّ احياني بقلبي ولهجتي
وأجلّ أعمال الفتى ذكر ربه — فكن ذاكرا يذكرك باري البرية
وما من حسام للمريدين غيره — وكم حسموا ظهرا لزارو باهت
وكم بدوا شملا لدى جرأة وكم — أبادوا عدوا مسهم بمضرة
وكم دافع الله الكريم بذكرهم — عن الخلق من مكروهة ومبيرة
وأفضل ذكر دعوة الحيي فلتكن — بها لهجا في كل وقت وحالة
فكثرة ذكر الشيء آية حبه — وحسب الفتى تشريفه بالمحبة

وله أيضا من أخرى رحمه الله في الرسول عليه الصلاة والسلام:

وخيرة الخلق مَنْ مِنْ أجله خُلقوا — محمد خير محمود ومَنْ حَمِدَا
من خصه بلواء الحمد حامدُه — وبالمقام القيامِّي الذي حُمِدا
ويوم حشر الورى للفضل يرشده — إلى محامد لم يرشد لها أحدا
وكثرة الحمد من أوصاف أمّته — في اليسر والعسر في الكتب العلا وجدا

صلى الحميد على المحمود أحمد ما — بالحمد أفصح حمّادٌ وما سجدَا
لله عبدٌ شكور حامدُ وعلى — قرباه والصّب أعلا الأمة الحمدَا

وله أيضا من أخرى في الحب والهوى:

أبت مهجتي إلاّ الولوع بمن تهوى — فدع عنك لومي والنفوس وما تقوى
هوان الهوى عزٌّ وعذبٌ أجاجه — وعلقمه أحلا من المن والسّلوى
وتعذيبه للصّب عين نعيمه — وسعي اللواحي في السّليِّ مِنْ العدوى
ومن لم يجد بالنّفس في حبّ حبه — فول عنه أفكٌ وصبوتهُ دعوى
وليس بحرّ من تعبده الهوى — للهو الدّنا فاختر لنفسك ما تهوى
فما الحبُّ إلاّ حبُّ ذي الطول والغنى — وأملاكه والأنبيا وأولى التّقوى
وخيرة الرسل الله أفضل خلقه — محمد الهادي إلى جنة المأوى

وله أيضا من أخرى:

روحي وراحة روحي ثم ريحاني — وجنتي من سرور الإنس والجان
ومأمني وأماني من سعير لظى — ذكر المهيمن في سر وإعلان
ومدح أحمد أحمى العالمين حمى — وذو المقام الذي ما قامة ثاني

إلى أن قال:

هذا السّراج هو المنجي لمعتصم — هذا المعاد وملجا الخائف الجاني
يا رحمة الله إنّي خائف وجلّ — يا نعمة الله إنّي مفلس عاني

وله قصيدة في نصح المسلمين حذر فيها من أشياء ورغب في أشياء سماها بالنصح التام للخاص والعام أولها:

إن شئت عيشًا هنيئًا واتباع هدى — فاسمع مقالي وكن بالله معتضدا

وتسمى بالدالية وقد علق عليها شرحا صاحب البستان.

وله قصيدة أخرى أخرجها في الشوق إلى بيت الله الحرام أولها:

ما حال من فارق ذك الجمال — وذاق طعم الهجر بعد الوصال

وله قصيدة أيضًا تقرأ مع وظيفته التي جمعها في الأذكار تقرأ في كل وقت

من ليل أو نهار أولها:

مـرادي مـن المولـى وغايـة أمـالـي ... دوام الرضى والعفو عن سوء أعمالي

وتسمى باللامية، كما تسمى بالمرادية وشرحها محمد الصباغ القلعي في القرن العاشر الهجري (16م) وسمى شرحه عليها: "شفاء الغليل والفؤادي في شرح النظم الشهير بالمرادي". كما شرحها أيضا ابن مريم صاحب كتاب البستان بعد ذلك ومنها جزء من أولها:

قصيدة المرادية للشيخ إبراهيم التازي

مـرادي مـن المولـي وغايـة آمالـي ... دوام الرضى والعفو عن سوء أعمالي
وتنويـر قلبـي بانسـلال سـخية ... به أخلدتني عن ذوي الخلق العالي
وإسقاط تدبيري وحولي وقوتي ... وصدقي في الأحوال والفعل والقال
وفي حبه وحب صفوته الرضى ... ملائكـة وأنبيـاء وأرسـال
وحـب النبـي الهاشـمي محمـد ... وأصـحابه الغـر الأفاضـل والآل
وحب رجال خالفوا النفس والهوى ... وخافوا مقام الواحد الصمد العالي
رجـال كـرام فـي النفوس تنافسوا ... شروا عارض اللذات بالغابر الغالي
فليس لهم في غير حب إلههم ... غـرام ولا فـي كسب جاه ولا مـال
رجـال كـرام قـوتهم ذكـر ربهـم ... قيـاماً قعـوداً فـي صـدور وإقبال
وشيمتهم ترك المطامع في الورى ... فليس لمخلوق عليهم من أفضال
على الصبر والإيثار راضوا نفوسهم ... فكلهـم نـدب وحـالم اثقـال
صدورهم من كل ضغن سليمة ... كـرام السجايا أهـل مـح وإجمال
هـم القـوم لا يشقى جليسهم ... بهم يحق لمن ولاهم جر أذيال
فمذهبهم قتل النفوس ومحوها ... فمن مات قبل الموت ليس بمقتل
وكل جبار قل أن يبلغ المنى ... ومـا عملوا في فوزهم مثل بطال
وكل بشهبل فهو عنهم بمعزل ... فمـا يعبـا الـرب الكريم ببخال
وغـنـم مـريد بانقيـاد لكامـل ... لـه خبرة بالـوقت والعلـم والحال
هـو السـرو الإكسير والكيميا لمن ... أراد وصـولا أو بقـا قـيد آمـال
وقـد عـدم النـاس الشيوخ بقطرنا ... وآخـرهم شـيخي ومعظـم إجلالـي
وقـد قـال لـي لـم يبق شيخ بغربنا ... وذا مـنـذ أعـوام خلـون وأحـوال

يـشير إلـى أهـل الكمـال كمثلـه ... عليـه مـن الله الرضـى مـا تـلا تـال
ونـص علـى حـب التشبه شهمهم ... أبـو مدين الغوث المعاصر والتالي
وقـد قـال حـب الأولياء ولايـة ... ولـي الإلـه الشاذلي ابـن بطـال
سـليل شـفيع الخلـق يـوم انبعاثهم ... ومـنقذهم مـن مـوبقات وأهـوال

وقصيدة أخرى في مدح النبي ﷺ أولها:

بإحسان ذي الطـول أهـل الكـرم ... لـه الحمـد جـدا يوافـي الـنعم

وقصيدة أخرى في الحجيج بلغنا الله ذلك المقام الشريف أولها:

ألفـت هـواك علـى قـدم ... يـسير إلـيك علـى القـدم

وهي على حروف الهجاء من الألف إلى الياء وقصيدة اخرى أولها:

رويـدكم فمـا سـمعي بقابـل ... لغـي لاغ ولا يـصغي لعاقـل

وله قصيدة مشهورة بالزيارة أولها:

زيـارة أربـاب التقـى مرهـم يبـري ... ومفـتاح أبـواب الهدايـة والخيـر

وزاد كاتب هذه النسخة تمام القصيدة وهي[1]:

وتحـدث فـي القلـب الخلـي إرادة ... وتشرح صدرا ضاق من سعة الوزر
وتنـصر مظلـوما وتـرفع خـاملا ... وتكـسب معـدوما وتجبـر ذا كـسر
وتبـسط مقبوضـا وتـضحك باكيـا ... وتـرفع بالبـر الجـزيل وبالأجـر
علـيك بهـا فالقـوم باحـوا بـسرها ... وأوصوا بها يا صاح في السرو والجهر
فكـم خلـصت مـن لجـة الإثـم فانيـا ... فألقـتـه فـي بحـر الإنابـة والـسر
وكـم مـن بعـيد قـربته بجدبـة ... تفاجـأه الفـتح المبـين مـن البـر
وكـم مـن مـريد طفـرته بمرشـد ... حكـيم خبيـر بالـبلاء ومـا يبـري
فألقـت علـيه حلـة يمنـية ... مطـرزة باليمـين والفـتح والنـصر
فـزر وتـأدب بعـد تـصحيح تـوبة ... تأديـب مملـوك مـع الملـك الحـر

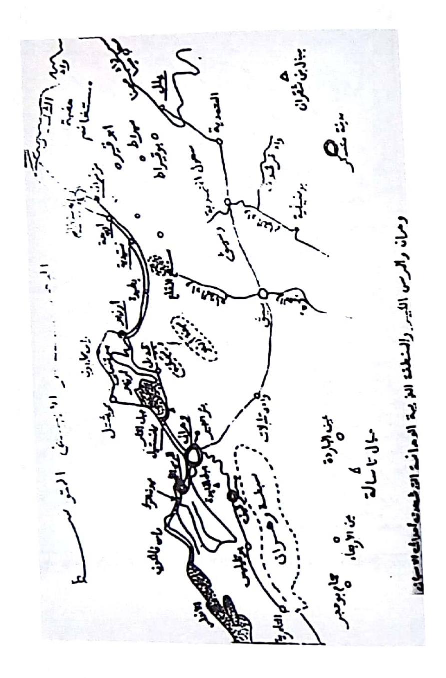
(1) لا توجد هذه الزيادة إلا في نسخة السيد ويليام مارسي والتعليق لصاحب البستان.

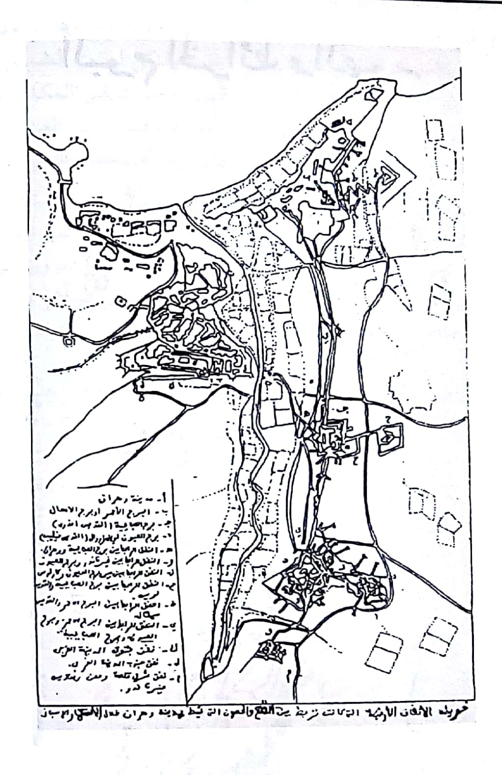
ولا فرق في أحكامها بين سالك ... مـرب ومجـذوب وحـي وذي قبـر
وذي الـزهد والعبـاد فالكـل منـهم ... عليه ولكن ليست الشمس كالبدر
وزورة رسـول الله خيـر زيـارة ... لهـم درجـات في المكانـة والقـدر
وأحمـد خيـر العلمـين وخيـر مـن ... يأمـه عارفـون فـي العسـر واليسـر
وأمــته أصــحابه الغـر خيـرهم ... وأفـضل أصـحاب النبـي أبـو بكـر
ويـتلوه فـاروق أبـوا حفـص الرضـى ... علـى رأي أهـل السنـة الشـهب الزهـر
وبالوقف قالوا في الهزير أخى العلا ... علـي وعـثمان الـشهير أبـي عمـرو
وقالـوا كتـرتيب الخلافـة فـضلهم ... وقد تم نظمي في المزور وفي الزور
علـى أنبـياء الله منـي ورسـله ... أحـيهم أزكـى بـلام عـد الـدر
وقـرباه والـصحب الكـريم وتابـع ... لهم في التقى والبر والبصر والشكر

وذكر لي بعضهم أن له مولديات لا تحصى ولم أقف عليها انتهى من المواهب القدسية في المناقب السنوسية للملالي انتهى[1].

(1) من ضمن من ترجم للشيخ التازي: ابن مريم في البستان، أحمد بن سحنون الراشدي في الثغر الجماني، وابن صعد في روضة النسرين، والنجم الثاقب، والحفناوي في تعريف الخلف، وديدي في وهران، والمزاري في طلوع سعد السعود، وآخرون.

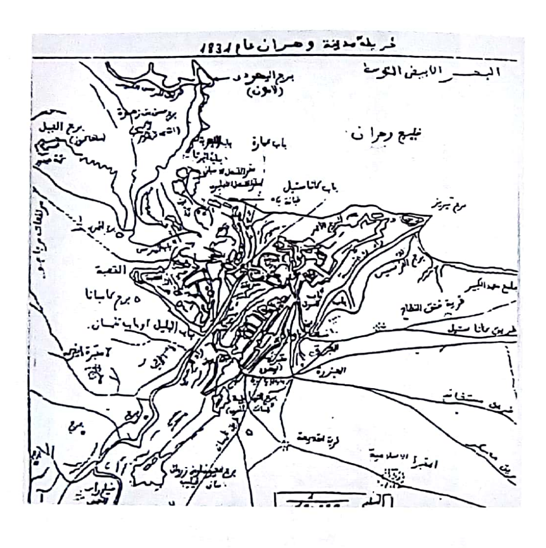
ألبوم الخرائط والصور



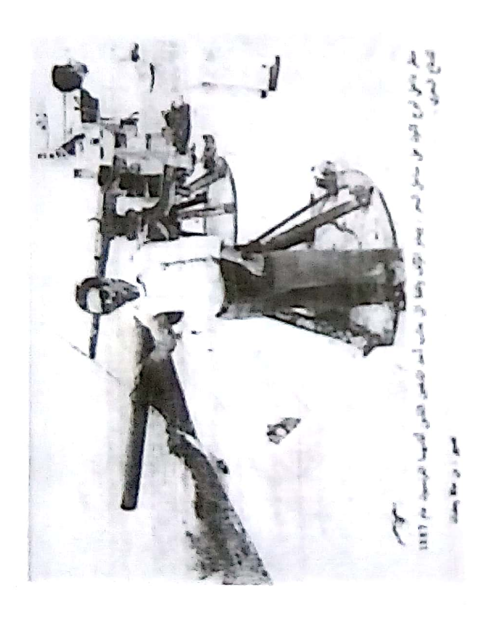


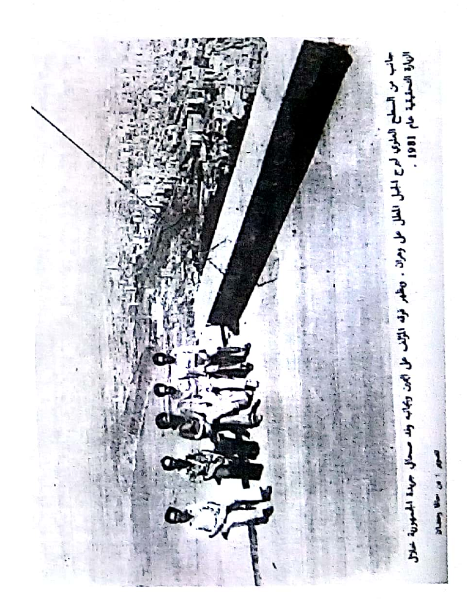
خريطة الأنفاق الأرضية التي كانت تربط بين القلاع والحصون التي تحيط بمدينة وهران خلال الاحتلال الإسباني

خريطة مدينة وهران عام 1831



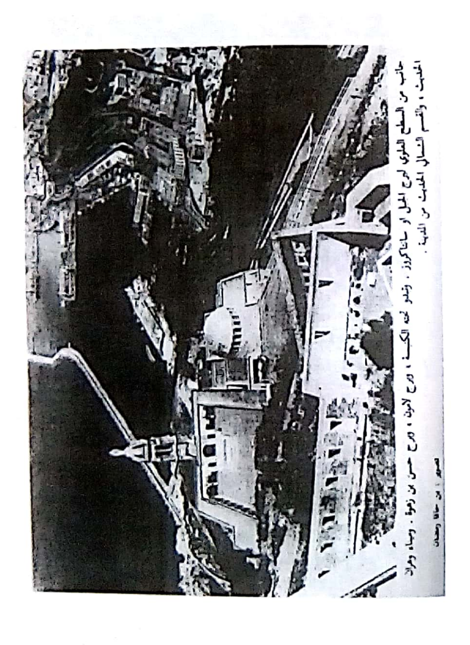






جانب من السطح العلوي لبرج الجبل المطل على وهران . ويظهر فوقه المؤلف على اليمين وبجانبه وفد صحافي جريدة الجمهورية خلال الزيارة التحقيقية عام 1981 .

تصوير : بن حافا رمضان



جانب من السطح العلوي لبرج الجبل او سانتاكروز . وتبدو تحته الكنيسة ، وبرج لامون ، وبرج حسن بن زهوة . وميناء وهران الحديث ، والقسم الشمالي الحديث من المدينة .

تصوير : بن حافا رمضان

إحدى واجهات برج الجبل الضخم المطلة على المدينة .

تصوير : بن حالا رمضان



إحدى أبواب الحراسة ببرج المرسى الكبير .

تصوير : بن حالا رمضان

بعض المراجع ذات الصلة بالموضوع

أ – الكتب المطبوعة:

– ارامبورو:

وهران والغرب الجزائري في القرن 18م حسب تقرير أرامبورو ترجمة وتعليق وتقديم: القورصو (محمد)، وإيبالزا (د. ميكال) (الجزائر – 1978) ص 166.

– إيبالزا (د. ميكال دي):

معاهدة السلم الأولى الأسبانية الليبية. المجلة التاريخية المغربية، عدد 17/ 18 (تونس – جانفي 1980) ص 33 – 68.

– إيروين (راي. ف):

العلاقات الديبلوماسية بين دول المغرب والولايات المتحدة الأمريكية 1776 – 1816. ترجمة العربي (إسماعيل). (الجزائر – 1978) ص 307.

– بوعزيز (ا. د يحي):

1- الموجز في تاريخ الجزائر. I (الجزائر – 1965) ص 220 ط2 (1999) 2 أجزاء.

2- علاقات الجزائر الخارجية 1500 – 1830 (الجزائر – 1985) ص 206.

3- مفاوضات الصلح بين الجزائر وأسبانيا من خلال مراسلات الداي محمد عثمان باشا. مجلة التاريخ. عدد 18 (الجزائر 1985) 125 – 152. مجلة الثقافة، عدد 89 (الجزائر 1985) ص 95 – 118. مجلة أوراق جديدة. عدد 7 و8 (مدريد 1984 – 1985). ص 75 – 89.

4- وهران عبر التاريخ (الجزائر – 1985) ص 189.

5- أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة (بيروت دار الغرب الإسلامي 1995) 2 أجزاء.

6- المراسلات الجزائرية الأسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمدريد (1780 – 1798). (الجزائر. د.م. ج – 1993).

7- علاقات الجزائر مع دول وممالك أوروبا فيما بين القرن السادس عشر ومطلع القرن التاسع عشر. مجلة الثقافة عدد 48 (الجزائر – ديسمبر 1978) ص 17 – 34.

8- ماضي مدينة وهران وأمجادها التاريخية. الثقافة عدد 52. (الجزائر – يوليو – أوغسطس 1979) ص 29 – 57.

9- الجديد في علاقات الأمير عبد القادر مع أسبانيا وحكامها العسكريين بمليلية. الثقافة. عدد 64 (يوليو – أوغسطس 1981) ص 13 – 24. وعدد 65 (ديسمبر – أكتوبر 1981) ص 15 – 31.

10- اللقاء التاريخي بين الأمير عبد القادر وحاكم مليلية الأسباني. الثقافة عدد 75 (ماي، جوان 1983) ص 109 – 112.

11- مفاوضات الصلح بين الجزائر وأسبانيا من خلال مراسلات الداي محمد عثمان باشا (1780 – 1787). مجلة التاريخ (الجزائر – 1985). عدد 18. ص. 125 – 152.

12- أسبانيا توسط الجزائر لإبرام الصلح مع تونس. مجلة التاريخية المغربية. عدد 50/49 (تونس، جوان 1988) ص 23 – 29.

13- العلاقات الجزائرية الأسبانية من خلال مراسلات ساسة البلدين في أرشيف التاريخ الوطني بمدريد. وبعض المواقف الحاسمة للجزائر (1780 – 1798). المجلة التاريخية المغربية. عدد 66/65 (تونس – أوت 1992). ص 229 – 247.

14- مراسلات الأمير عبد القادر مع أسبانيا وحكامها العسكريين بمليلية (الجزائر، قسنطينة أ 1982) 120 ص. ط2 (الجزائر. د. ح. ج. 1986).

– الزياني (محمد بن يوسف): دليل الحيران وأنيس السهران في اخبار مدينة وهران. تقديم وتعليق المهدي البو عبدللي. (الجزائر – 1978 م).

– عنان (محمد عبد الله). عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس ط1. ج1 (القاهرة 1964).

– ابن خلدون (عبد الرحمان): كتاب العبر ج7 (بيروت 1971).

- المزاري (الآغا بن عودة): طلوع سعد السعود في أخبار وهران ومخزنها الأسود. تحقيق، وتقديم وتعليق الأستاذ الدكتور يحيى بوعزيز (بيروت، دار الغرب الإسلامي 1990) 2 أجزاء.

- ابن ميمون (محمد): التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تحقيق، وتقديم محمد بن عبد الكريم، (الجزائر 1972).

- مسلم بن عبد القادر: أنيس الغريب والمسافر. تحقيق وتقديم رابح بونار (الجزائر 1974).

- أبو راس الناصر:

1- درء الشقاوة في حروب الترك مع درقاوة (مخطوط).

2- الحلل السندسية فيما جرى بوهران والعدوة الأندلسية إن شئت قلت. نفيس الجمان فيما جرى بالأندلس ووهران. (مخطوط).

3- القصص المغرب والخبر المعرب عن الحال المغرب بما وقع في الأندلس وثغور المغرب (مخطوط).

4- غريب الأخبار عما كان بوهران والأندلس للمسلمين من الكفار. (مخطوط).

5- عجائب الأسفار ولطائف الأخبار فيما جرى بالأندلس ووهران بين المسلمين والكفار. (مخطوط).

6- روضة السلوان المؤلفة بمرسى تيطوان في أخبار الأندلس ووهران (مخطوط).

7- محمد (الأمير): تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر. (الإسكندرية، 1903) 2 أجزاء.

- الجيلالي (عبد الرحمان بن محمد):

تاريخ الجزائر العام. ج3. ط3 (الجزائر - 1982) ص 606.

- الراشدي (أحمد بن سحنون):

الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني. تحقيق وتقديم البو عبد للي (المهدي). (الجزائر - 1973) ص 477.

- الزهار (الحاج أحمد الشريف):

مذكرة الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب الأشراف بال جزائر 1754 - 1830. إعداد وتقديم: المدني (توفيق) (الجزائر - 1974) ص 196.

- سبنسر (وليم):

الجزائر في عهد رياس البحر تعريب وتعليق زبادية (د. عبد القادر). (الجزائر - 1980) ص 194.

- شيلر (وليم):

مذكرات وليم شيلر قنصل أمريكا بالجزائر 1816 - 1824 تعريب وتعليق وتقديم العربي (إسماعيل). (الجزائر - 1982) ص 350.

- ابن عبد القادر (مسلم):

أنيس الغريب والمسافر. تحقيق وتقديم بونار (رابح). (الجزائر - 1974) ص 127.

- كاثكارث (جيمس ليندر):

مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب: ترجمة وتعليق العربي (إسماعيل). (الجزائر - 1982) ص 321.

- المدني (أحمد توفيق):

أ - حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وأسبانيا 1492 - 1792 (الجزائر - ط2 - 1976) ص 535.

ب - محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766 - 1781 ط2 (الجزائر - 1986) ص 191.

- وولف (جون. ب):

الجزائر وأوروبا: ترجمة وتعليق سعد الله (الدكتور أبو القاسم). (الجزائر - 2. ج. و. ت - 1986) ص 508.

المجلات الدورية:

مجلة الثقافة (الجزائر - 1971 - 1986).

مجلة الأصالة (الجزائر – 1971 – 1981).
المجلة التاريخية المغربية (تونس – 1974 – 1992).
مجلة أوراق جديدة (مدريد – 1978 – 1985).
Revue Africaine (1856: 1956).
Bulletin de la société de Géographie et d'archéologie d'Oran. (Bul. S. G. Arch. O).
Archive historic national de Madrid.
Section de estade le gajo 35 et 3576.

ب – بالفرنسية:

-BELHASSI (Moulay):
Histoire de la marine algérienne 1516 - 1830. (Alger – 1983) p 190.
-CAZENAVE (jean):
A - Organisation militaire d'Oran pendant l'occupation espagnole 1505 - 1792, Revue: de l'armée d'Afrique (Novembre 1922) p. 326.
B – Les préside espagnol d'Afrique. Leur organisation au XVIII[e] Siècle. R. A. F. Alger - 1922 - 269 et 457 - 488.
C – Les Gouverneurs d'Oran pendant l'occupation espagnole 1505 - 1792. R. A. F. (Alger – 1930). Bul. S. G. Arch. D'Oran (1933) T. 54. pp. 303 - 375 T. 71. pp. 257 - 299.
- GALIBERET (M. Léon):
L'Algérie ancienne et moderne. (Paris – 1844) p 634.
- GARROT (Henri):
Histoire générale d'Algérie (Alger 1910) p. 1189.
- GRAMMONT (H. D. de):
Histoire d'Alger sous la domination turque 1515 - 1830 (Paris – 1887) p. 429.
- GORGUOS:
Notice sur le Bey d'Oran. Mohamed EL – Kébir. R. A. F. 1856. T. I. pp. 403 - 454. T. II. pp. 51. 185. 286. T. IV. pp. 347 – 357.
- GUIN:
Note sur le bey Mohamed EL – Kébir. R. A. F T. V II.. p 293.
- KERCY (de):

Mémoire sur d'Alger (1791). Publié Par G. Esquer. (Paris – 1927).
- LEPESSE (RENE):
ORAN. (Oran. M. C. M. XXX VIII) p. 509.
- PLANTET (Eugène):
Correspondance des Deys d'Alger avec la Cour de France (Paris – 1889) T. I (1579 – 1700) LXXV – 506p. TII (1700 – 1833) p. 619.
- SEGUY (Dr. George): ORAN et L'ALGERIE 1887 (ORAN – MARS – 1888).
DIDIER (LE GENERALE): histoire d'Oran. T. IV – VI (Oran 1929 – 1931).
- EL BAKRI: description de l'Afrique.
- PIASSE (LOUIS): Itinéraire historique et descriptif de l'Algérie comprenant le Tell et le Sahara (Paris – 1862).
- NELLY (BLUM): La croisade de ximénès en Afrique. (Oran – 1898).
- RUFF (PAUL): domination espagnol à Oran sous le gouvernement du comte d'alcaudete 1543 - 1558 (Paris – 1900).
- MOULOUD (GAID): cronique des beys de Constantine (Alger Caslnave (jaen). O. P. U) S. D.
1) - Don Juan d'Autriche visite Oran 1568.
(Alger - 17/02/1924).
2) - Contribution à l'histoire du vieil Oran R. AF. (Alger - 1925).
3) - Les sources de l'histoire d'Oran. Essai bibliographique.
Bul. TRI. SOC. G. ARCH. Oran. (sep. oct. 1933) T. 54. pp. 303 – 376.
- Basset (RENE): fastes chronologique de la ville d'Oran pendant la période Arabe. BUL. SOC. G. P d'Oran (1892) PP. 49 - 75.
DERIEN (Le COMMANDANT): les Français d'Oran depuis 1830 à nos jours (Alger – 1886). Correspondancia de Los Deyes.
DELPECH (ADRIEN): Résumé historique Sur le soulèvement des derkaoua de la province d'Oran d'après le cronique d'el Mousselem Ben Mohamed Bach Defter de Bey Hassan. De 1800 à 1815. R. A. F. (Alger – 1874).
FEX (LEON): histoire d'Oran. Avant pendant, et après l'occupation espagnol (Oran - perrier – 1858).

KEHL (C): le fort SANTA CRUZ.

Bull. TR. SO. G. A. Oran. Tome. 54. (Oran – 1933).

MARIAL (W): la mosquée de Sidi Mohamed El Keber. à Oran. Bul. SOC. - G. ARCH. Oran. (Oran – 1893).

فهرس المحتويات